المكتبة الخضراء للأطفال

٤٩

الطبلة المسحورة

بقلم
عبد التواب يوسف

دار المعارف

رسوم
ماهر عبد القادر

المكتبة الخضراء للأطفال

٤٩

الطبلة المسحورة



الطبعة الثالثة

بقلم
عبد التواب يوسف



دار المعارف

رسوم
ماهر عبد القادر

قَدمتِ المكتبةُ العربيةُ عَدِيدًا مِن الأساطيرِ والحكايـاتِ الشعبيةِ، لكنها لم تُقدم شيئًا من قارتِنا العذراء السَّمراء: إفريقيا.. الَّتى سَرَقَ الاستعمارُ الكثيرَ من خيراتِهَا ، ومن بين ذَلِكَ حِكاياتها الشَّعبية الرَّائعة، ويَقولُ المستشرقُ "بيرتون": إن أوربا أخذت من إفريقيـا ربع مليون حِكاية.. تَرجمتها إلى لُغَاتِها ، بينما لاتَعرفُ غينيا حِكايات غانا، والعكسُ صَحِيح.. ولقد تَركَ الاستعمارُ قارتنا فى حالةِ فقرٍ شديدٍ، وأصبحت تَصلُ إلينا أخبارُ المجاعَاتِ فيها، وربمَا تسألون: لِماذا لم تكن تَحدثُ أيامَ الاستعمار؟.. الحقِيقةُ أنها كانت أكثر مما هى الآن، لكن أوربا كَانت تخفى عن العَالمِ أَخبارهَا وتحجبها عنها.. ويسُرنا أن نُقدمَ لكم هذه القِصّةَ الإفريقيةَ الجميلة للكاتبِ الشَّهِير "شينُوا اتشيب".

-١-

فى ذَلِكَ الزّمانِ القديم، كَانتِ الحيواناتُ فى دُنيانا تَعيشُ وكأنما هى فى سفينةِ نُوح.. فيها من كُلِّ زوجين اثنين، ولمْ تكُن قد ازدحمتْ بِهذِه المخلُوقات المتقَاتِلة ليلَ نهَار، لكنها كانت تعيشُ فى أمانٍ وسَلام، وكأنها عائلة واحدة.. كان هناك سُلْحُفٌ واحدٌ اسمه (امبى)- وهو الجدُّ الأكبرُ لكل السَّلاحف الموجُودة الآن فى عالمنا - وكان يعيشُ مع زوجته "آنوم".. كما كانَ هناكَ الطائرُ "أنونو" الذِى هو أيضا الجدُّ الأول لجميع الطُّيُور، وأيضًا كان هناكَ كبشٌ وَحيدٌ هو "ايبونو"

وزوجته النعجَةُ "أتولدو".. والفيل "اينواى" والفهد "أجو" والأسد "أودوم" بجانب عدد آخر من الحيوانَات، التى عاشتْ عمرًا طويلاً ومديدًا وسعيدًا، إذْ توفرَ لهَا - دائما - ما تأكلُه مما تنتجُه الأرض: الرياحُ تهبُّ، والمطر يسقطُ، والنباتُ ينمو بكثرةٍ، والمحاصيلُ تَكْفى الجميعَ..

ومع مرورِ السنينَ تغيرَ الجو..

بَدأتِ الأمطارُ تَقلُّ، وزَحفَ الجفافُ، ورَاحتِ الشَّمسُ تُطِلُّ من السماءِ دونَ أن تحجبهَا السُّحب، وإذا بالطعَام يَقِلُّ.. بل ويصبحُ نادرًا فى تلكَ البقعة من الأرض الإفريقية السمراء.. وعامًا بعدَ عامٍ راحَت الأنهارُ تتوقفُ عنِ الجريَان، وجفّت مياهُ الجدَاولِ، لذلك أطل شبحُ الجُوع الكافرِ على الجمَيع.. وبعد أن كانت الحيواناتُ تَحصلُ على وجباتِهَا الشَّهية على مدَى اليوم، لمْ تعد تَجدُ لنفسِهَا وجبةً واحدةً.. وكانَ الأملُ أن يَعودَ الحالُ عَلَى ما كانَ عليه، ولكنَّ ذلِكَ لم يحدثْ، بل ازدَادت الأُمُورُ سُوءً ا، وأصبَح محظوظًا من يَعثرُ علَى وجبةٍ واحدةٍ كُلَّ ثلاثةِ أيام..

وعَـمَّ الحُـزنُ..

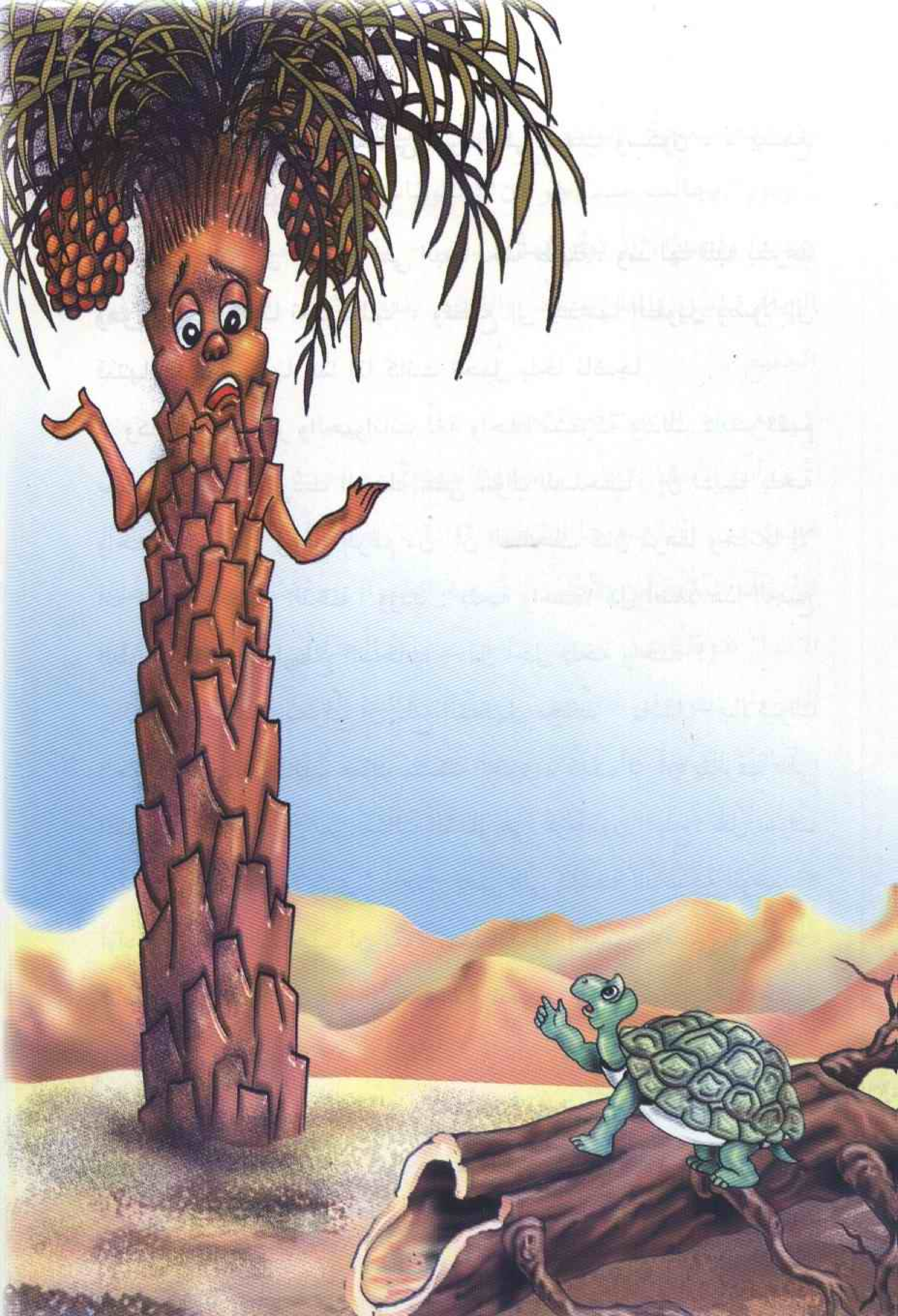
وذاتَ يوم، انطلقَ السُّلْحُفُ من بيته فى الصباحِ الباكر بحثًا عن فاكهةٍ بريَّةٍ، أو ثمارٍ عشْوائيةٍ ولم يَعثر عَلَى شىء منها إلى أن حلَّت الظهيرةُ ولفحَت الشَّمسُ الكونَ بحرارتِهَا بلا رحمةٍ، وتعبَ السلحفُ

وتَساقط عَرقُه، وراحَ يدبُّ عَلَى الأرضِ فى صمتٍ وسكونٍ ، لا يَسمعُ غيرَ وقْعِ أقدامه فَوقَ الرِّمالِ .

وَمَضَى سائرًا إلى أَنْ رأَى على البعدِ نخلةً طويلةً ، ومدَّ لها قلبُه بسُرعةٍ وهو يَمضِى بطيئًا نحوَ ظلِّهَا ، وتطلعَ إلى جذعِهَا الطويلِ وُصُولاً إلى قِمتها.. وهو يَسألُهَا عمَّا إذا كَانت تَحمِلُ بلحًا ناضجًا .

وكَانتْ للأشجارِ والحيواناتِ لُغة واحدة مُشْتركة ولذلكَ كَانت تَفهمُ بعضهَا البعْض.. ردَّت النخلةُ عَلَى سُؤالِ السلحفِ: إنَّ لديهَا بلحةً واحدةً نَاضجةً.. وعَلَى الرغمِ مِنْ أَنَّ السلحف كَانَ مُرهَقًا وجَائعًا إلا أنه ضَاقَ بما قَالته النَّخلة، وردَّدَ : بلحةً واحدةً؟ هل أَصعدُ هَذَا الجذْعَ الطويلَ العَالى - بارتفاع السحَابِ - مِن أجلِ بلحَة واحدة ؟!!

كَانَ السلحفُ يَعرفُ أَن بلحَ النَّخِيلِ محاطٌ - دائمًا - بالأشواكِ الحادةِ الصلْبة. وكانت هناك مشكلةٌ أُخرى: كَيفَ لَهُ أَن يتَعرفَ عَلَى الثمرةِ النَّاضجةِ منْ بَينِ مئاتِ الثمارِ فى عُرجُـونِ البلحِ؟ هلْ سوفَ يَفحصُ بلحةً بعدَ الأخرى .. حَتَّى يَعثرَ عَلَى البلحةِ النَّاضجةِ الوحيدَة؟ أَوّاه.. لا.. إنَّ السُّلحفَ لن يَقومَ بهذَا العملِ الأحمقِ. ومضى السلحفُ غاضبًا على النَّخلةِ و عَلَى الأرضِ الَّتى تنْمُو منْ فوقِهَا. وصَبَّ جَمَّ غَضبِهِ ولعنَاته عَلَى الأرض الجدبَاء البائسَة ، و عَلَى التربةِ البَوَار، الحمقاءِ التى لم تَستطعْ أن تنجبَ سِوَى نَخلةٍ واحدةٍ عَلَى رَأسِهَا بلَحة واحدَة فقط نَاضجَة. وواصلَ سيره.. ويبْدُو أَن غَضبَه قَد مَنَحه طاقةً جديدةً تُمكنه



من المَشي، لَكِن سُرعانَ ما أبطأَ مرةً أُخرى بعدَ أنْ شَعَر بإرهاقٍ أكثَر من ذِى قبل. وازدادتْ حَرارةُ الرِّمالِ تحتَ أقدامِهِ. وارتفعَ صوتُ أقدامِهِ المرْهقَةِ وهِى تَسيرُ منْ فَوقِ الأرضِ، أعلى وأعلى فى رأسِه.

ظَلَّ السلحفُ ماضيا فى طَريقِهِ حَتَّى وصَلَ إلى نَخلةٍ أُخرى فَسألَها كم ثمرةً ناضجةً لديهَا ؟ فأجابته النَّخلةُ : "ثَلاثة" ، فانهالَ عَليهَا السلحفُ سَبًّا وشتمًا.. وعَلَى الأرضِ الَّتِى أنبتتهَا، والتى لا تَصلحُ لأىِّ شَىْءٍ ولا تُنَاسبُ سِوَى "أنونو الطائر" فقط لكى يرقُصَ من فوقهَا.

وكانت النَّخلةُ التَّالِيةُ تَحملُ عَشْرَ بَلحاتٍ نَاضجَاتٍ، فَكرَ السُّلحفُ فى أَمرِهَا قَليلا. عَشرُ بَلحاتٍ فَقط من بَين هَـذِه المئات؟بالطْبعِ هى لاتَستحِقُّ المُجَازفَةَ. فَمَاذَا لو أَنَّه أَفلَتَ فَسَقطَ من هذا الارتفـاعِ الشَّاهِقِ من أجـلِ عَشـر بَلحاتٍ لاغَير؟ قَال فى صوتٍ خَفيضٍ لأيكادُ يُسمعُ: أرضٌ جرداءُ بخيلةٌ. وأَضـافَ: مَن يَدرى رُبما أَتسلَقُّهَا إذا لمْ أَجِـدْ أَفضـلَ مِنْهَا.

شَاءَ حظُّ السُّلحف أن يَجِدَ ما هو أفْضَل: نخلةٌ متوسطةُ الطولِ تَحملُ فِى عَراجِينهَا أربعمائة بلحةٍ مُضاعفةٍ ثلاثَ مراتٍ. فسألها السلحفُ مرةً أخرى ليتأكدَ منْ أنه قد سَمِعَ الرقم جيدًا "كم عَدَدَ الثمارِ النَّاضجةِ التَّى تَحملينَ أيتها النخلةُ السخية؟" فأجابتِ النَّخلةُ مُؤكدةً: "أربعمائة بلحةٍ مُضاعفةٍ ثلاثَ مراتٍ".



وَرقصَ السلحفُ فرِحًا وهو يَنظرُ إلى النَّخلةِ فىَ رضًا وإعجابٍ.. وبينما هو يَرقُص تَصور أنَّه سَمَعَ صوتًا خافتًا يَرتفعُ من باطنِ هذه الأرضِ السَّخِيةِ:

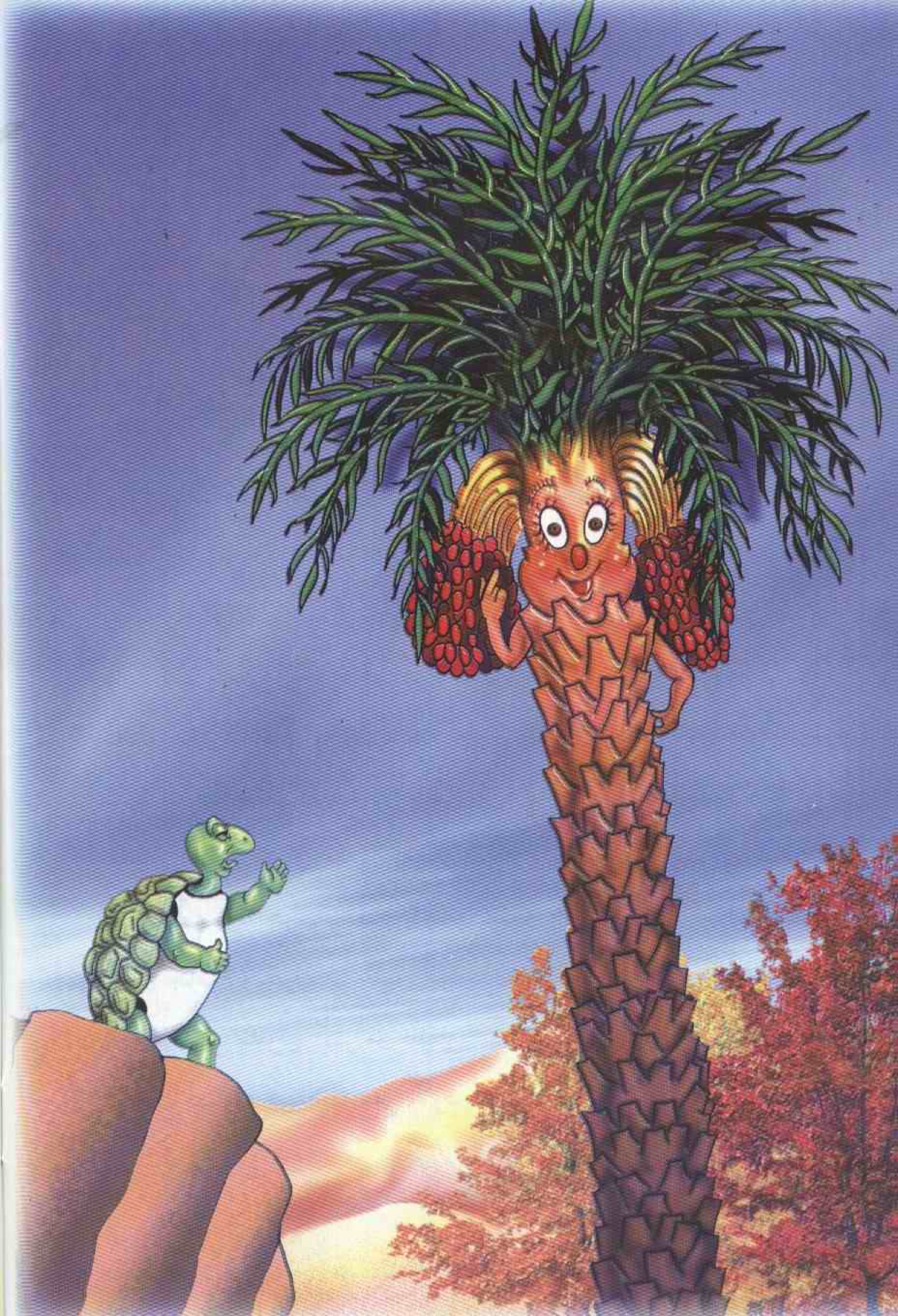
– نعم.. إنـهـا أربعمائة مُضاعفة ثلاثَ مراتٍ. إنـهـا ألفٌ و مائتا بلَحَة.

راح السلحفُ يتَسلقُ النَّخلةَ وقَد عَادَت إليه قوتُهُ وحَماسَتُه، بل إنَّ الشَّمسَ بَدتْ كأنهَا قدْ خَفَّفت من حرارة أشعتهَا.. وفى مُنتصفِ الطريقِ إلى قمةِ النَّخلةِ شَعرَ بنسيمٍ خَفيفٍ رقيقٍ يَهبُّ عليه فَيرطب جَسَدَه. واستطاعَ أَنْ يَرى العُرجونَ بوضوحٍ وبه الأربعمائة بَلحةِ المضاعفة ثلاثَ

مراتٍ وتَساءلَ هَل سَيستطيع أَنْ يَأكلَهَا كُلَّهَا اليوم أم أَنَّ عليه أن يَعودَ إليهـا مـرةً أُخرى غدًا ؟ لكنْ، ماذَا لو أَنَّ أحدًا غَيره - مُثل الطـائر "أنونو" - جـاءَ من هَـذَا الطريقِ واكتشفَ بَقايا مأدُبته العَـامرة الشَّهية؟! لا، من الأفضلِ أن يضَع كلَّ شيءٍ الآن فى مَعِدتِه، ليطمئِنَّ، حَيث إنَّ البلحَ سيكونُ فى أمانٍ تام.. وقَهقَه بصوتٍ مُرتفعٍ: "أربعمائة مضاعفة ثَلاثَ مراتٍ. طريقةٌ مُبتكرةٌ لقولنَا: ألف ومائتان."

وَكانَ قَد وَصلَ إلى قمةِ النَّخلةِ ، تَحتَ الجريدِ الَّذى يَحملُ البلحَ النَّاضجَ تمامًا. فَصعَدَ خطوةً أُخرى جَانبية ثُمَّ عَدلَ مِن نَفسِهِ لِكى يَتوازى مَوقِعُه مع البلحِ النَّاضجِ. ومَدَّ يَده وقَطفَ الثمرةَ الأولى وألقى بِهَا فِى فَمِهِ. كَانتْ أَلذَّ وأَحلَى بلحةً ذَاقهَا فى حياتِهِ، لم تَكن كَبِيرةَ الحجم، لكنها كَانتْ صَغِيرةَ النواةِ. وقَطفَ بلحةً أُخرى وثَالثةً ورابعةً وخامسةً ودَفعَهَا كُلَّها إلى فَمِهِ حَتَّى انتفخَ من الجانبيْن، وأَخذَ يَمضغُ ويَمضغُ ويَبتلعُ العَصِيرَ الطَّازجَ إلى أَنْ انتهى العَصيرُ تَمامًا. وتَخلصَ مما تَبقَّى من أَليافٍ. ثُمَّ ملأ فَمَه مرةً أُخرى بخمسِ بَلحَاتٍ أُخرى، وقَطفَ بلحةً سادسةً لكى تَكونَ جاهزةً وتَحركَ فى نفسِ الوقتِ يُحاولُ أَنْ يُغيِّرَ من موضعِهِ فوقَ النَّخلةِ حَتَى يَقترب أُكثرَ من الثمارِ اللَّذيذَة، وأثناء ذَلكَ انزلقت البلحةُ من بينِ أصابِعِه فَسقطتْ عَلَى الأرضِ. وهُنَا شَعرَ السلحفُ بأنه أَخطأ..

وقَالَ لِنفسِهِ:



- إنَّنِى آسف، ولَنْ أسمحَ لواحدةٍ من هَذهِ الثمارِ العجيبةِ أن تضيعَ منى.

وبَدأَ يَنزلُ من عَلَى النَّخلةِ كى يَبحثَ عن البلحةِ الَّتِى سَقطتْ؛

-٢-

وقَعتِ البلحةُ عَلَى حَافةِ جُحرٍ فى الأرضِ يَبدُو عَمِيقًا.. فَقَال السلحفُ لنفسِهِ:

- إذا أنا لم أَهبطْ بسُرعةٍ سيخرجُ حيوانٌ من تلكَ الحيواناتِ الصَّغيرةِ التى تَعيشُ فى هَذا الجُحر ويأخذُ بلَحَتى اللَّذيذَة.

ومد يَده لكى يَلتقطَ البلحةَ فانزلقَت منْ جَديدٍ إلى داخلِ الجُحرِ واستقرَّت تحتَ السَّطحِ بقليلٍ.. فمدَّ السلحفُ يده مرةً أُخرى إلى داخِلِ الجُحرِ لكى يَمسكَ بها فانزلقت إلى مسافةٍ أَبعدَ مما تَستطيعُ يدُه أَنْ تَصلَ إليها، لَكنه كَانَ مَازالَ قَادرًا عَلَى أنْ يراهَا.. ولاَحظَ السلحفُ أن الجُحرَ عميقٌ جدًّا وأنَّ فى مقدورِهِ أنْ يهبطَ إليه درجةً درجةً، فَسألَ نَفسَه:

- ما اسمى؟ ألستُ أنا السلحفُ الَّذى لا يتَوقفُ فى مُنتصفِ الطريق إلى المعركةِ ؟

وَنَزَلَ إلى الجُحرِ ومدَّ ذِرَاعه لكى يمسكَ بالبلحةِ ، وما أن لَمسهَا بأصبعِهِ حَتَّى تَدحرجَت إلى أسفل عَلَى الدَّرجة التالية. فقال السلحفُ:

- أينما ذَهبتِ أيتها البلحةُ اللذيذةُ فَسوفَ يَذهبُ معك السلحفُ.

وهَبطَ دَرجةً بَعدَ درجةٍ عَلَى السلمِ الطويلِ، تَسبقه بالطبعِ البلحةُ الَّتى ما أَن يَلمسها حَتَّى تنزلقَ إلى باطنِ الأرضِ.

وفَجأةً وَجدَ السلَحفُ نَفسَه قَد خَرجَ مِنَ النَّاحية الأخرى من الجُحرِ ووَجدَ نَفسه فى سَاحةٍ واسعةٍ أمامَ أكواخٍ وأشجارٍ وحقولٍ، لكنَّ الضوءَ كانَ باهتًا بشكلٍ غَريبٍ لذلك كانَ كلُّ شىءٍ يبدُو أمامَهُ أصفر اللونِ.. وبعد قَليلٍ لَمَحَ صبيًّا صغيراً يقفُ بالقربِ منه، يَمضغُ شيئا ما فى فمه. فسأله السلحفُ:

- مَاذا تَأكلُ أيها الصَّبىُّ؟

أَجابه الصَّبى: إنَّنِى آكلُ بلحةً.

وكان الصَّبى يتَحدثُ من أنفه كما لو أَنَّه مُصابٌ بنوبةِ بردٍ .

سَأله السلحفُ: أَين وجدتُهَا ؟

قَال الصَّبى: كَنتُ أَنظفُ سَاحتنا هَذه، وفجأة سَقطت أَمامى هَذه البلحةُ من أَعلى.. من السماءِ.

قَالَ السلحفُ: "الآن فهمتُ.. هَل تَعتقدُ أَنَّنى أيضًا سقطتُ من السماءِ؟"

فرد الصَّبِىُّ: نَعم يا سيدِى.

قالَ السلحفُ: "حسنًا، إنَّنِى لم أَسقط مِن السَّماءِ. ثم إنَّنِى أُريدكَ أَنْ تَعرفَ شَيئًا آخرَ. إنَّنِى صاحبُ هَذِه البلحة الّتى التهَمْتَهَا".

اعتذرَ لَهُ الصَّبى قَائِلاً: إنَّنِى آسفٌ يا سيدى، ما كنتُ أَعرفُ.

قَالَ السلحفُ: "لا داعى للأسفِ أيُّها الصَّبِى. فقط هَات لى بَلحتى الآن وفورًا وإلا أَخذتكَ مَعِى إلى بلادِى.

بدأ الصَّبِى يَبكى وسَمع أبواه وآخرونَ بكاءَهُ فاندفعُوا إليه مُهرولين منَ الأكواخِ ومن خلفِ الأشجارِ وسَألُوه عن سَبَبِ بُكائِهِ.. كَانوا جَمِيعهم يتَحدثون من أُنوفهم..

فَقالَ السلحفُ: مُخاطبا والدَ الصَّبِى: إن ابنكَ التهمَ بَلحتى، وطلبتُ منه أَنْ يعيدَهَا إلىَّ وإلاَّ أخذته معى إلى بلادى.

سَأله والدُ الصَّبى: "فمن تكونَ أَنت إذا سمحتَ لى بالسُّؤال؟"

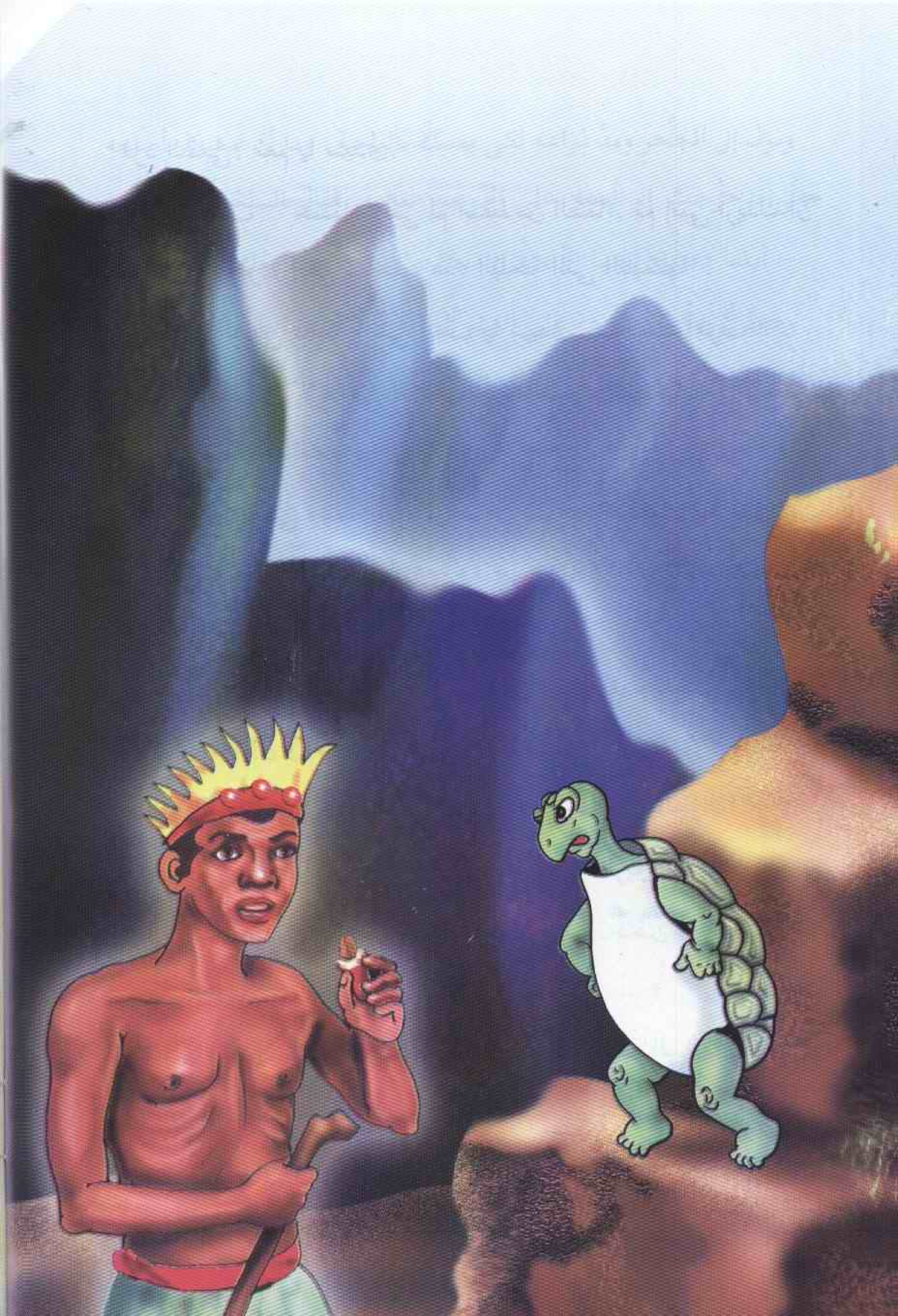
– أنا السلحفُ الّذى لا يتَراجعُ فى منتصفِ الطَّريقِ.

قَالَ والدُ الصَّبِى: "أظُنُّ أنَّنِى سَمعتُ عَنكَ.. نَحْنُ أرواح، وهَذِه مَدينتنا. مرحبًا بكَ أيُّهَا السلحفُ فيها..

التفتَ الأب إلى الصَّبى وسأله: "هل التهمتَ بلحةَ السلحفِ؟

ردَّ الصَّبِى والدُموع تَترقرقُ منْ عَينيه:

– نَعم، ولم أكنْ أعرف أنها تَخُصُّه هو".



فقال الأب الروح: "هذا أمرٌ بسيطٌ. إن لدينا كثيراً من النَّخيل هُنا وسوفَ نُعطيك أيُّهَا السلحفُ عشرَ بلحاتٍ مُقابِل البلحَةِ الّتى فقدتهَا".

ردَّ السلحفُ: لا... لا.. إمّا أنْ آخذَ بلَحتى أو آخذَ ابنكَ مَعى إلى بلادى.

عندما سَمعَ الصبىُّ هذَا الكلام رَاحَ يَبْكى، فَصاحَ فيه أبوه:

- الزم الهدوءَ يا بنى. ثُمَّ اتجه مرةً أُخرى إلى السلحفِ يُحاولُ تسويةَ الأمر معه: حسنًا سَوف نُعطيكَ عُرْجُونًا بأكمله بديلاً عن ثَمرتِكَ الَّتى فَقدتَها.

فَقالَ السلحفُ: "أنا لا أريدُ أن أكونَ سَخِيفًا معكم، لكنكم فعلا تضيعُون وقتى الثمين. إما بَلحتِى وإما الصَّبِى. انتهى الأمرُ.

فرَّ الصَّبى هَاربًا، وهُوَ يَصرخُ إلى داخلِ الأكواخِ، فَصَاحَ فيه السلحفُ:

- قَفْ عندكَ. وأَخذَ يَجرى وَرَاءَهُ، مُقتَفيا أثره لكن الأَبَ اعترضَ طَريقه قائلاً:

- تعالَ هُنَا أيّها الصديقُ، لا تُفزعْ الصَّبِى المسكينَ. سَوفَ نُعطيك شَيئا أَفضلَ منْ كُلِّ أشجارِ النّخِيلِ الموجودةِ فى العالم كُلِّه.

فسأله السلحفُ: أى شيءٍ يُمكن أنْ يكونَ هَذَا الَّذى تَتحدثُ عنه؟

ردَّ الأبُ: "طَبْلَة".

قَالَ السلحفُ: "طَبْلةٌ ؟ هَل أَبدُو أَمامَك أَنَّنِى "طَبَّالٌ"؟ انظروا أيُّهَا الأعزاء لقد كنتُ صَبورًا جدا معكم..

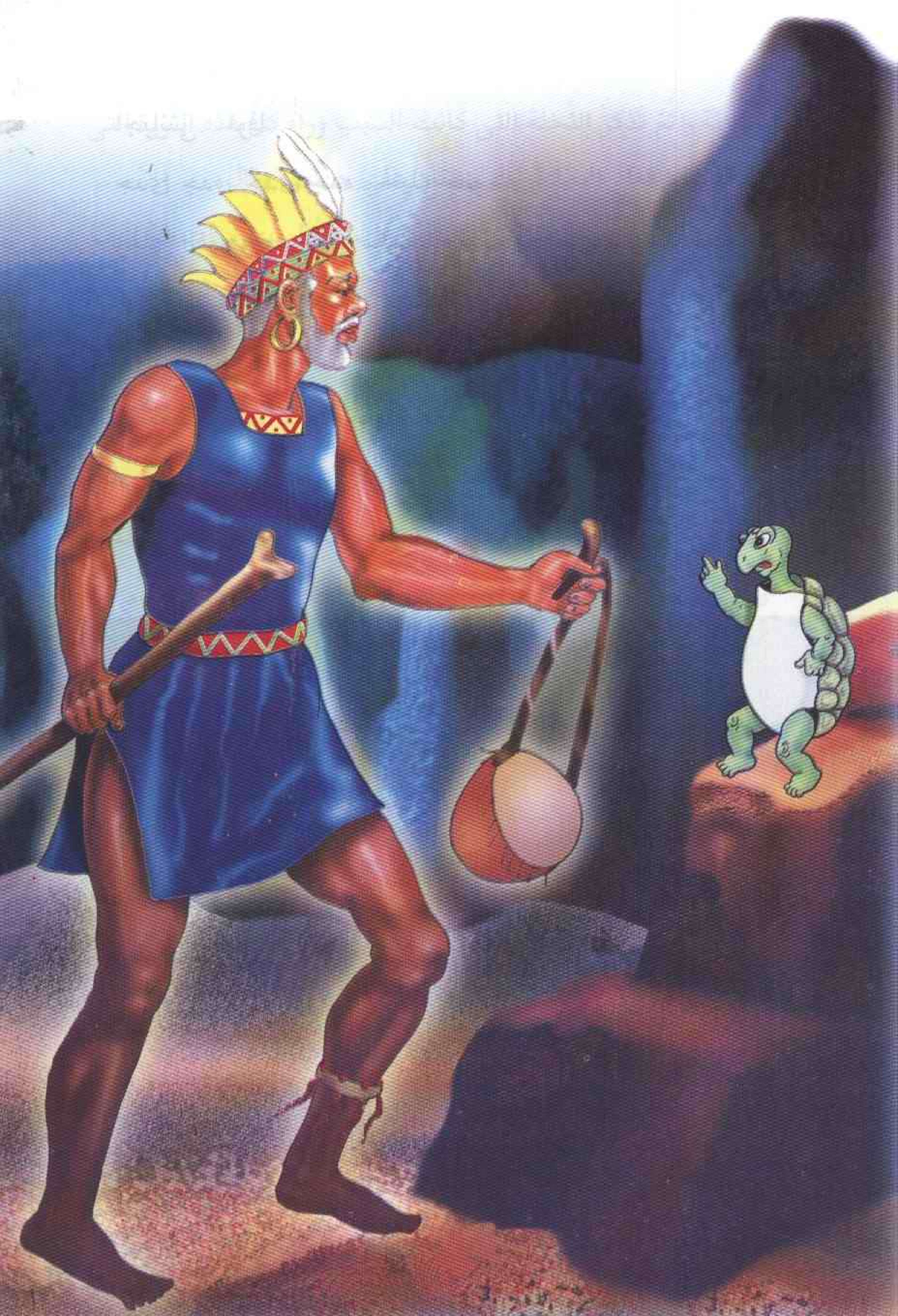
قَالَ الأبُ: "لَقد كنتَ صَبُورًا بالفعلِ، ونَحنُ نُحبكَ لهذا الصَّبْر. إن الطبلةَ الَّتِى سَوفَ أَهديها لك ليست طبلةً عادية. اقبلها منى وسوفَ تكونُ سَعِيدًا لأنك أَخذتهَا منى".

قَلَ السلحفُ : حَسنا سوف أقبلُ الطبلةَ، هَذَا فقط لأنكَ مُهذب وكلماتُكَ رقيقةٌ. لكنْ علِّم ابنكَ أَنْ يَكونَ حَذِرًا فى المستقبلِ وأَلا يَأخذَ أىَّ شئٍ يَسقطَ عليه من السماءِ. أينَ الطبلة؟

قَامَ الأبُ وأحضر له طبلةً صغيرةً غريبةً ومعهـا العصَا التى تدقُّ عليها، علَّقَ السلحفُ الطبلةَ على كتفِه بالحزَام المربوطِ بهَا وكان على وشَـكٍ أن يطـرقَ عليهَا ، إلا أنَّ الأبَ أوقفه بسـرعَةٍ ممسكًا بيدِه - وقـال لـه:

لا تطرقهَا هنا، يُمكنكَ أَن تطـرقَ عليهـا برفقٍ حينَما تَخـرجُ عَائدًا إلى العـالمِ العـلْوِى. وإذا لم تُصبْكَ الطبلةُ بالدهشـةِ، فسـوفَ تُصِيبنى أَنا الدهشَة".

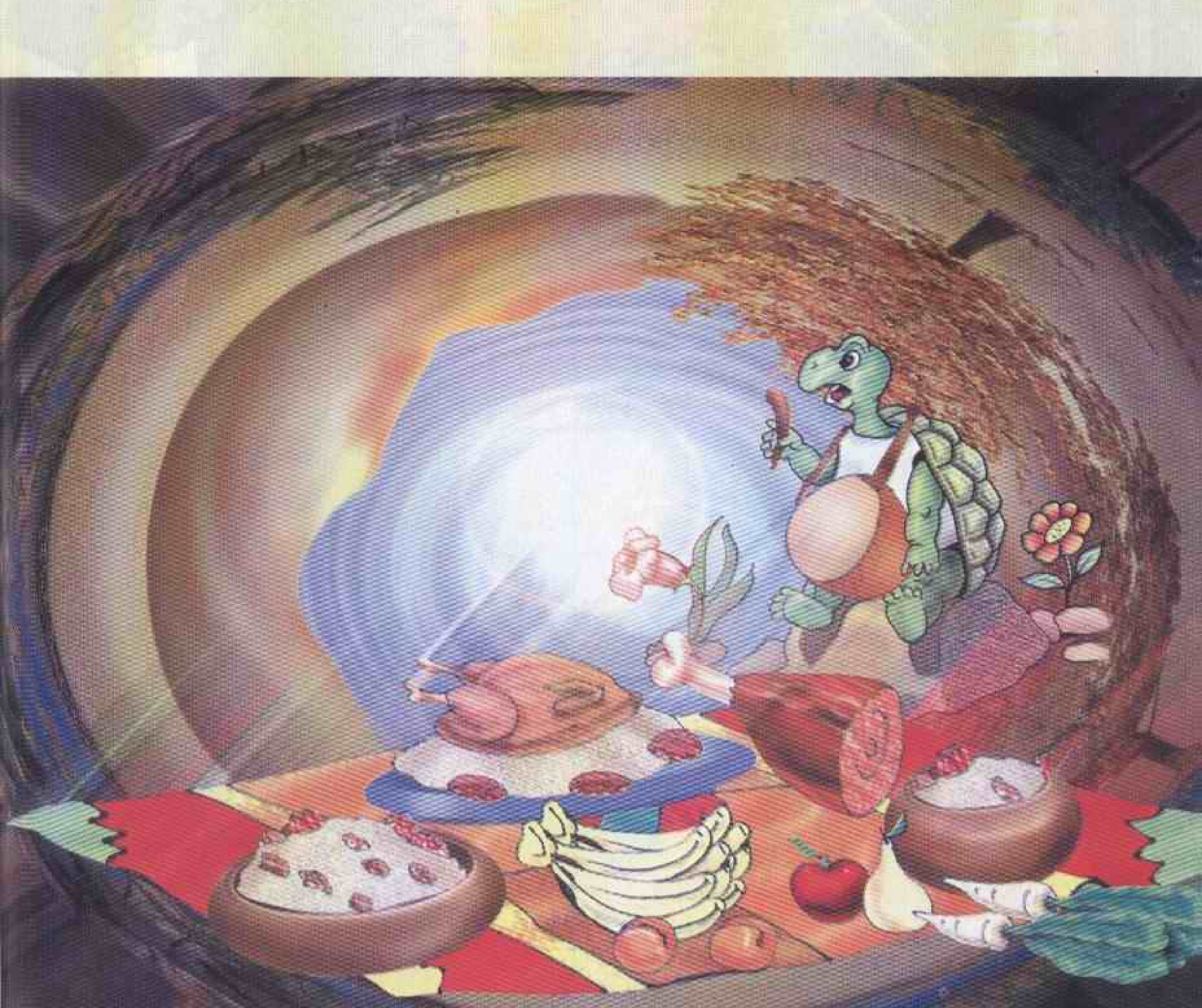
قال السلحفُ وداعًا للأرواحِ، وبَدأَ يَرتقى السلمَ عائدًا إلى عالمِ الضَّوءِ الأبيض. ووقَفَ تَحتَ النَّخلةِ الَّتِى كَانَ يَقطفُ مِنهَا البلحَ. ثُمَّ أَخَذَ يَطرقُ الطبلةَ، فانبعثَ عنها صوتٌ مُختلفٌ تمامًا عن صوتِ أية طبلةٍ أُخرى سمعهَا : كبم بتو.. كبم بتو..



اجابنني.. نوفا..

جدى جده. جدى جده.. أنيلى نانو.

وَعلَى الفورِ وجد أمامَهُ مَائـدةً مَلِيئةً بالطَّعـام، عَليهـا جميعُ الأطعمةِ الشَّهيةِ الَّتِى كَـانَ يَحلـمُ بهـا، وَجدهَا مَوضوعةً أَمامَـهُ بإسرافٍ: أُرز، فَاصوليا، فُول، لوبيا، أسْماك، لُحوم مَطهيَّة وكؤوس مليئة بعصَائر الفواكـه، خَاصة عصير البلحِ. وحِينَما انتهى من طَعامِهِ وقَامَ لكى يَمْشِيَ - غير أنه لـمْ يَكـنْ فِى حالةٍ تَسمحُ لَهُ بالسَّير بسُـهولةٍ بِسبب امتـلاءِ معدتِـهِ - خَطَا ثَـلاَثَ أو أربـعَ خطـواتٍ



غـير مُتزنة ، ثُمَّ تَذكرَ النَّخلةَ الَّتى كَانت السببَ وراءَ كُلِّ هَذه الثَّروة الَّتى حصَلَ عليها ، فَعادَ إليها وربَتَ بحنانٍ عَلَى جِذْعِهَا وقالَ :

– شُكرًا لك أيَّتها النَّخلةُ. قَالَ ذَلِكَ خمس أو ست مراتٍ ثُمَّ اتجه نحوَ مَنزلِهِ ومعه طبلتُه. وبعدَ خطواتٍ قَليلةٍ تَذكرَ ذَلِكَ الجُحر الَّذى هو فى الأرضِ فَرجعَ إليه وانحنَى عليه وهَمَسَ فيه :

– شُكرا لك أيُّها الجُحر.. "كَررَ ذَلِكَ حوالى سبعَ مراتٍ ، ثُمَّ عَادَ مُتجهًا إلى مَنزلِهِ مرِحًا وهو يُصفر بسعادةٍ طوالَ الطَّرِيقِ..

–٣–

فى البدايةِ ، فَكرَ السلحفُ فِى أَنْ يَحتفظَ بالطبلةِ سرًّا يُخفِيه عَنْ كلِّ الحيواناتِ الأُخْرَى. لكنْ بعدَ أسبوعٍ من التّلذُّذِ بالطعامِ هُوَ وزوجته فى حُجرتهما السرِّية جدا داخلَ منزلِهما ، جَاءَ إلى السلحف خاطرٌ آخر :

– لو أطعمتُ الحيواناتِ فى هذَا الوقت الَّذى ذَبلتْ فِيه أَجسادُهَا ونَحلتْ من قلةِ الطَّعامِ فسوفَ يُكرموننى ويَحتفلون بى ، بل رُبما يُنَصبوننى مَلِكًا عَليهم. سَوفَ يَكون ذَلِكَ رائعًا حقا.

المشكلةُ الوحيدةُ الّتى تُواجهه هى أنه لم يكن يَستطيعُ أَنْ يَعرفَ إلى متى سيستمِرُّ الطعامُ الّذِى تَأتى بِهِ الطبلةُ.. إنّه حَتَّى الآن ، بعد أسبوعٍ كَامل ، لم تظهر الطَّبلةُ أيَّةَ عَلامةٍ تَدلُّ عَلَى أَنَّ الطَّعام الّذى تَأتى به يَقلُّ ، ومع ذَلِكَ فمن يَدْرِى ما الذى يَحدثُ إذا أَكلتْ مِنها كُلُّ حيواناتِ البلدةِ؟!

وفى النهايةِ، لم يَستطعِ السلحفُ أَنْ يُقَاوِمَ فكرةَ أَنّه سَيصبح البطلُ المحبوبُ بين الحيواناتِ بل وربما ملكًا أيضًا. ولو انتهى الطَّعامُ من الطبلةِ السحرية، فإنه يَستطيعُ دائمًا أن يَهبطَ مرةً أُخرى إلى أرضِ الأرواحِ من أجلِ طبلةٍ جَديدةٍ.. لابد أَنَّ لديهم مئاتٍ أُخرى مِنهَا.

وفِى اليوم التَّالى قَدَّمَ الدعوةَ لجميع الحيواناتِ فى البلدِ.. بعَث إليها بالطائرِ "أنونو" يُخبرُهَا أَن تَلتقى فى بيتِ السلحفِ فى وقتِ الغِذاء فى اليوم التّالى..

وأَضافَ السلحفُ للطَّائرِ "أنونو" فى شَىْءٍ من الغُموضِ:

- قُل لهم أَنَّ لدىَّ رسالةً إليهم من أرض الأرواحِ.

فَسأله الطّائرُ أنونو بدهشةٍ كبيرةٍ: "من أرضِ الأرواحِ" ؟ !

رَدَّ السلحفُ: "نَعم، هَذَا صَحِيحٌ. أَخبر كلَّ واحدٍ منهم، أخبرْ كلَّ حيوانٍ فى المملكةِ عَلَى حدةٍ".

سَأله "أنونو": فى المملكةِ؟ أية مملكة ؟ !

قَالَ السلحفُ مُستدركًا: "أوه يا عزيزى عَفْوا. إنَّ أفكارى تتَسربُ مِنى هَذَا الصباح لقد كَانت تِلك زلَّة لسان كما يقالُ. لم أَقصدْ أَن أَقولَ: "مملكة" وإنما كنتُ أَقصدُ "البلد". أَخبر جَميعَ الحيواناتِ فى البلدِ أَنْ تَحضرَ إلى هُنَا ؟ إلى "قَصْرِى".. أَقصدُ إلى "بيتى" فى وقتِ الغداءِ لأنقلَ لهم رسالةً هامةً جدًّا من أرض الأرواح. والآن انطلق يا عزيزِى وسَوف أراكم جمِيعا غدًا".

كَانَ الطائرُ "أُنونو" يَطيرُ، وهُوَ يُفكرُ فى السُّلحفِ وكَيفَ أَصبحَ يتَصرفُ بِطريقةٍ غَرِيبةٍ فى هَذِه الأيام. وقَالَ لنفسِهِ:

- أرجُو ألاَّ يُحاول هذَا السلحفُ أنْ يَفتحَ صَندوقَ حِيلهِ القديمةِ. فأنَا لا أريدُ أنْ أكُونَ شَرِيكًا فى هَذَا السخفِ.. رُبما يَجبُ عَلَيَّ أنْ أتجاهلَ رسالَته وأطيرَ إلى عشِّى وأتَحملَ الجُوعَ، فَذَلِكَ أفضل.

غيرَ أنه كَانَ هُنَاك شَيْءٌ ما فى سُلوكِ السُّلحفِ جَعلَ الطائر "أنونو" يَقتنعُ بأنه كانَ جَادا بجانب أنه مما يُثير العَجبَ مظهرُ السلْحفِ وزوجتُه إذْ كانَ يبدُو عليهما الشَبعُ والتَّغذِيةُ الجيدةُ، وكأنَ من تَبدو عليه مظاهرُ الشَّبعِ فى هَذَا الوقتِ يستحقُ الالتفاتَ إليه حَتَّى لو كَانَ مَعروفًا عنه أنّه مُحتالٌ. لذلكَ حَملَ الطائرُ "أنونو" رسالةَ السلحفِ إلى جَميعِ الحيواناتِ فى البلدِ، وقَد اهتم القليلُ منها بدعوةِ السلحفِ. واعتقدَ البعضُ الآخر أنه رُبما كانت تِلكَ إحدى مُداعباته السَّخيفة وبَقى

هَؤلاء فى بيوتهم. بلْ إنَّ بعضَهم كان غَاضبًا؛ لأن مجردَ ذكرِ وقتِ الغداءِ فى هذَا الوقتِ الَّذِى يَسودُ فيه الجُوع العام يُعْتبرُ دعابة قاسية. والبعضُ كَانَ ضَعِيفًا جدًّا من شدةِ الجُوعِ فلم يَسْتطعْ أنْ يبدى اهتمامًا بالموضُوعِ.

واتخذَ من جَاءَ من الحيواناتِ مَقاعدَهم تَحتَ ظِلِّ شَجرةٍ عَجوزٍ عَتيقةٍ عِندَ بيتِ السُّلحفِ.. جَاءَ القردُ لمجردِ الفُضولِ، وجَاءت السحليةُ لأن مَنزلهاَ قريبٌ من بيتِ السلحفِ، وجَاءَ النمرُ وهُوَ عازمٌ عَلَى أن يَسحقَ السلحفَ إذا اتضحَ أن دَعْوَتَهُ كانتْ مجردَ خِدعةٍ. وكَانت هُنَاك بضعة حيواناتِ أخرى لكلِّ مِنها سبب ما، جَعله يُلَبى الدَّعوة.

ولما صَارَ واضحًا أنَّه لَم يَعد هُنَاك من يَتوقعُ حُضوره بعد الآن، قَامَ السلحفُ وتَحدثَ إلى ضُيوفِهِ. وبَدأ حَدِيثَه بالعَبارةِ المأثورةِ:

– إذَا قلَّلْتُ من شأنِ القِدْر الصغيرِ فوقَ الموقدِ، فَسوفَ تَغلى وتُطفئُ النَّارَ من تَحتِهَا، إنَّنِى أَعرفُ أنَّنِى مُجردُ زميلٍ ضئيلِ الحجم مُقارنةً بالحيواناتِ العملاقةِ مثل الفيل والجَاموس ووحيد القرنِ وما إلى ذَلِكَ. وربما كَانَ هَذَا هوَ السببُ فى أن الكثيرينَ تَجاهلُوا دَعوتى. لَكِن الصّغَارَ أحيانًا يَكونُ لَهم دورهُم وأهميتهم و فائدتُهُم..

عِندَ ذَلِكَ تَذمر النمرُ قَائلا:

– من فضلكَ تَحدث مُباشرةً فى الموضوعِ.

قَالَ السُلحفُ : حَسنًا ، سَوفَ أتحدثُ يَا عزيزى النمر عَلَى الفور، لكن من الحكمةِ أن نُجهزَ الأرضَ قبل أن نَضع فيها البذور، وقَالَ الحُكَماء أيضا إنَّ الأكلَ بدُون كلامٍ وأسئلةٍ يُسببُ المرضَ.

وهُنَا قَال القنفذُ وقد وقَفَ شَوْكَهُ غضبًا: "لقد حَصلنا عَلَى مَا يكفى من المواعظِ والنكاتِ بشأنِ الأكل. وبدأ صبرى يَنْفَدُ".

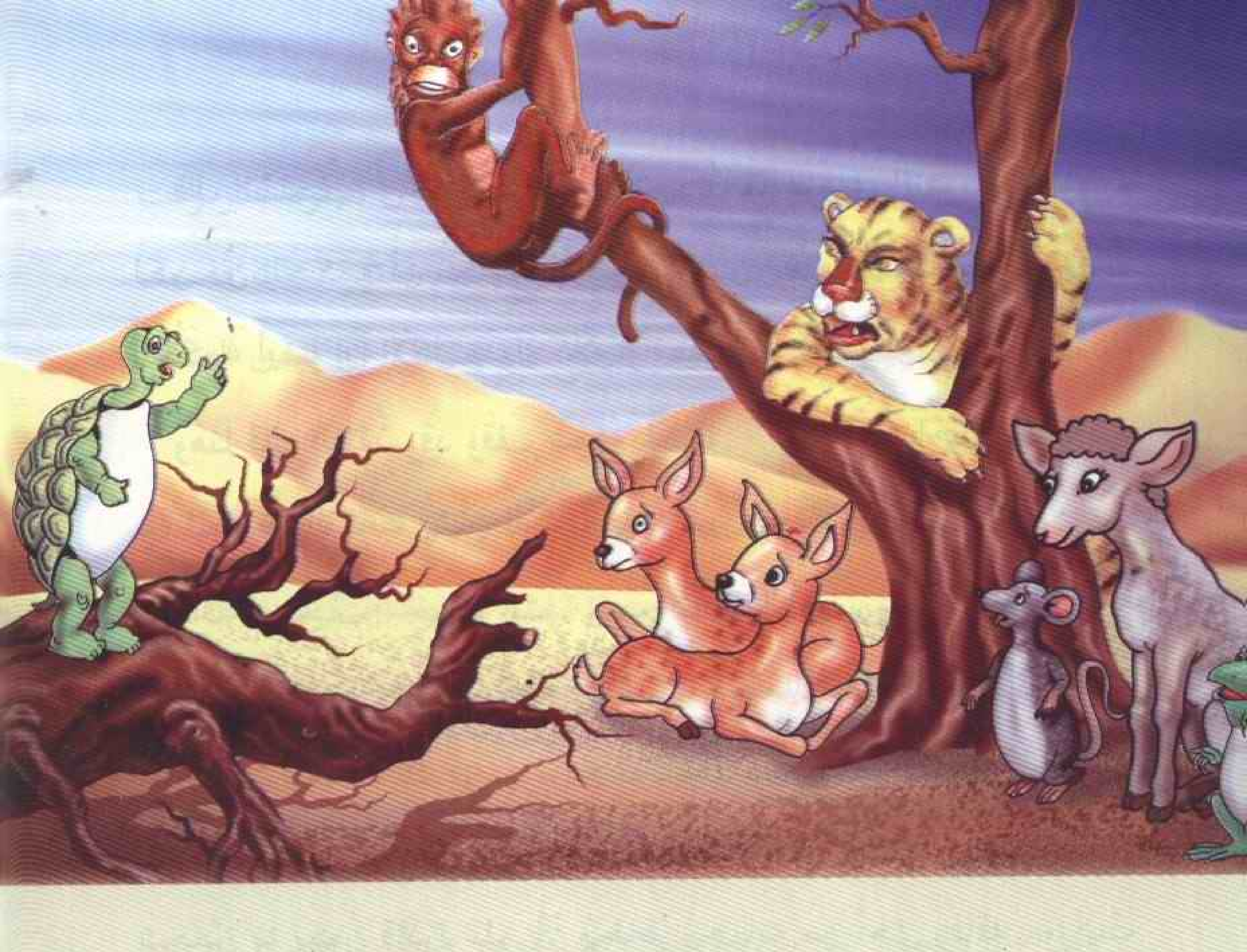
قَالَ السلحفُ: حَسنا أيتها الحيواناتُ الطيبة. سَوفَ أتحدثُ فى الموضوعِ مُباشرةً.. إنَّ الجوَع قد أصابنا جَمِيعًا، وقَد عَانينَا منه ثلاثةَ أعوامٍ مُتتاليةٍ. ولِذلكَ فى يومٍ من الأيام الماضية قُلتُ لِنفسى: "إن كلَّ الحيواناتِ فى بَلدى سَوفَ تَموتُ وتَنتهى إلا إذا جَاءَ مَنْ ينقذُهَا. شَخصٌ ما يكونُ قادرًا عَلَى أَنْ يُخاطرَ بِحياتِهِ مِن أَجلِ رِفاقِهِ، ورأيتُ أَنْ أكونَ هَذَا الشخصَ ولابد أن يكونَ هو أنا.."

وضَحكت بعضُ الحيواناتِ لمجردِ الفكرةِ. السلحفُ يَكونُ هُوَ المُنقذ. يَالهَا من دُعابةٍ طَرِيفةٍ.

قَالَ القردُ: استمر أيها "المنقذُ" العَظِيم.

فاستمرَّ السلحفُ: ولِذلِكَ قلتُ وداعًا لزوجتِى، لأنَّنِى ظَننتُ أننِى قَد لا أعودُ إلى البيتِ مرةً أُخرى.. ولم أَخبرهَا عن مَقصدى لأنَّنِى كُنتُ أَعرفُ أنهَا كَانت سَتقفُ فِى طرِيقى..

فَسأَله الخروفُ: وإلى أين كُنتَ ذَاهبًا أَيُّهَا المَجنون؟



ردَّ السلحفُ: "كنتُ ذاهبًا إلى أرض الأرواحِ" .

وضَجَّتِ الحيواناتُ بالضحكِ.. كَانَ الخروفُ مُحِقًّا.. عَلَى مَا يَبْدُو. وأَنّه مجنون. لابد أَنَّ الجُوعَ قَد وصلَ إلى عَقلِهِ فى النهايةِ فأَصابه بالجُنونِ. لكن السلحفَ كَانَ الآن مُستغرقًا تَماما فى حَماسه بالقصةِ الّتِى كَانَ يَنسجُهَا إلى حَدٍّ أنه لم يُنْصِتْ إلى الضحكِ السَّاخرِ من الحيواناتِ، بل أضافَ: وهكذا سَافرتُ سَبعةَ أيامٍ وسَبعَ ليالٍ، وعَبرتُ من الأنهارِ سبعًا واخترقتُ سَبعَ غاباتٍ سَيْرًا عَلَى أقدامى حَتّى وصَلت فى النهايةِ إلى مملكةِ الأُرواحِ فَأخذُونى إلى ملكهم".

وَهُنا قَالَ النمرُ: "مسكين هَذَا السلحف. لَقد ذَهبَ عقله تماما.. وقامَ فَغَادرَ المكانَ.

وقَالَ السلحفُ: "ولكى أُوجِزَ القصةَ الطويلةَ.. أَخبرتُ ملكهم أَنّ شعبى يَموتُ جُوعًا فى بلادِى، وأنّنِى لابد أَن أَجدَ عِلاجًا لذلك أَوْ أَنْ أَموتَ. وهُنَا تحدثَ الملكُ وقَالَ إنه لم يرَ مُطلقًا فى حَياتِهِ شَخصًا يُحِبُّ شَعبَهُ بدرجةٍ تجعلهُ يَجرؤ عَلَى المُغامرةِ خَارجًا منْ عَالم الكائناتِ الحية إلى عَالم الأرواحِ.. وَقالَ إنَّ أول ما فكر فِيه هُوَ أَنْ يَقتلنِى. لَكِن كلماتى وشَجاعتى جَعلَتَاهُ يُغيرُ رأيه. لِذلك أَمر بإعدادِ وليمةٍ كَبيرةٍ دَعَى إليها كُلَّ رجاله النبلاءَ وزوجاتهم لتَكريمى. وألقَى خطبةً طَويلة مدحَ فيها أخلاقى وشَجاعتى وأَنهى حدِيثه بأنْ مَنحنى لقبَ "الزَّعِيم". لَقد لقَّبنى بلقبِ "السُّلحف الزَّعِيمِ الّذِى لا يتَوقفُ فى مُنتصفِ الطرِيق..".

لم تعدِ الحيواناتُ تَضحَكُ أو تتَحَدثُ. إذ أَنَّ شيئًا مَا فى صوتِ السلحفِ ووجهه جَعلها - جَميعًا- تنصتُ بانتباهٍ شديدٍ.

استمر السلحفُ يَقولُ: "يُمكننى أنْ أَستمرَ طوالَ النَّهارِ أَحكى لكم عن الأَوسمةِ والصِّفَاتِ العَظيمةِ الّتِى منَحنِى الملكُ إياها. لَكنى سوف أَحتفظُ بهذه القصة إلى يوم آخر. لابدَّ أنكم جَميعًا جِياعٌ ولابد أَن أهتمَ بكم أولاً." وهُنَا تَطلعتِ الحيواناتُ إلى بَعضها بدهشةٍ كَبيرةٍ..

فأَضافَ:

لَكِن قَبلَ أن نبدأَ المأدبةَ، لابد أن أخبركم أن الطعامَ الّذِى سَتأكُلونه يَأتى لكم من عند أخى وصَدِيقى ملك الأرواح، لكم جميعًا يا شعب مملكتى المحبُوب.. أقصد أن أقولَ يا شعب بلدى العزيزِ..

تلَفت السلحفُ حَوله ثم سارَ ببُطءٍ - مثل زعيم عَظيم - نحوَ كُوخهِ وجَلست الحيواناتُ فى صَمتٍ تام تُراقبُ ما سيحدُثُ. وسُرعانَ ما عَادَ السلحفُ يَحملُ الطبلَةَ الغريبةَ مُتدليةً من حزامهَا على كتفِه. ولم يَقلْ كلمةً أُخرى حِينَما وصَل إلى مَقْعَدِه، أمامَ الجمهورِ القليلِ، وإنما فقط طَرقَ الطبلَةَ بالعصَا الصغيرةَ المنحنيةَ:

كمب بوتو. كمب بوتو.

اجبا ننوفو.

جدى جده. جدى جده.

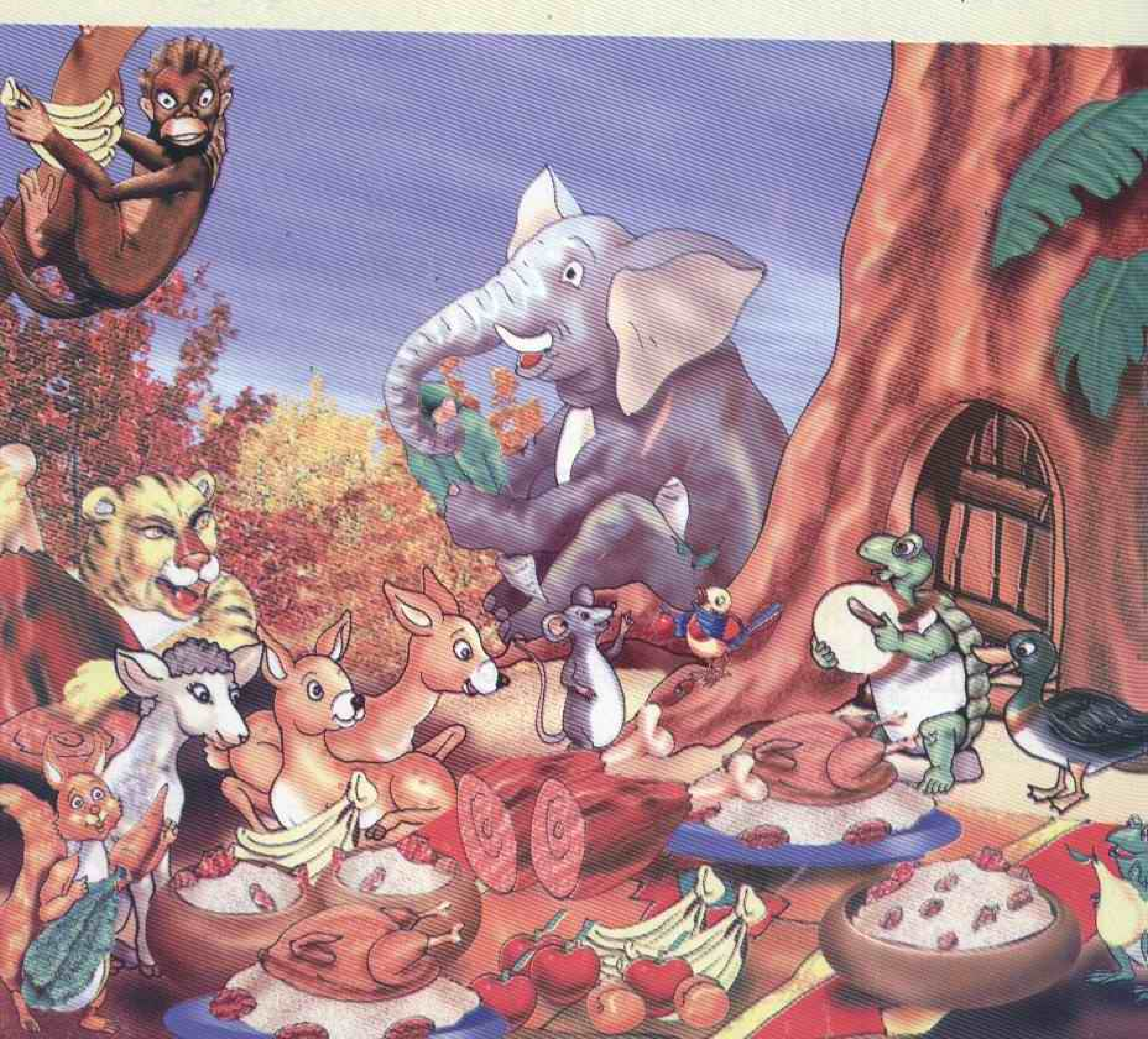
أنيلى نانو.

فجأة ظَهرتْ مائدةُ الطعامِ واندفعَت الحيواناتُ تَأكلُ بطريقةٍ نَهمة، كَانت كَما لو أنهَا جَوعى مُنذ ثَلاثينَ عامًا، سَقطَ الفأرُ مباشرةً فى الحِساءِ السَّاخنِ واحترقَ جِلدُه بصورَةٍ فَظيعةٍ بِسبب ذَلِكَ. وقفزَ الخرُوفُ بقوائمِهِ الأربعة فى دَاخِلِ السُّلطانية الضخمة المليئة بالخضراواتِ وانقلبَ العديدُ منَ الأطباقِ بسببِ الفوضى، بل تكسَّرَ بعضُهَا بما فيها، وتكالبتِ الحيواناتُ تَتخَاطَفُ مَا وقَعَ منها عَلَى الأرض. لَكِن بعدَ قليلٍ

من الوقتِ تَحققتِ الحيواناتُ أنَّ هُنَاكَ الكثيرَ من الطّعَام يَكفى البلدَةَ كُلّهَا إذا تقاسمتْهُ الحيواناتُ بسلام. لِذلِكَ استقرتْ فى أماكنها وأَطعمتْ نَفسهَا بِلا عِراكٍ أو شِجارٍ أو زِحَام.

-٤-

فِى اليَوم التَّالِى كَانتِ الحيواناتُ تَقفُ بباب السُّلحفِ عِندَ بُزوغِ الفجرِ، وسَمِعَ الضوضاءَ الضّخمةَ النَّاتجة عن تَجمهرِهَا وكَانَ سَعِيدًا. لكنه لم يَكن يَنوى أَنْ يَندفعَ، بل كَانَ يُفضلُ أن يَفعلَ الأشياءَ على



مَهلٍ، وفى وقتِهَا المُنَاسب. كَانَ يعَرفُ أَنَّ هَذِه الطَّرِيقَةَ الوحيدة الَّتِى ستَجعلُ الحيواناتِ تَتقبلُ أهميته. الزعيم لا يتَعجلُ. لِذلكَ استلقى السلحفُ فى سَرِيره ينصتُ إلى صوتِ البلدِ الجَائعِ وهُوَ يَبتسمُ بسُرُورٍ:

نَحنُ نُريدُ السلحفَ.

إنَّنَا نُريدُ السلحف.

فَليخرجْ لنا السلحفُ.

وتَأَثَّرَ السلحفُ بِهذَا النداء، فَقامَ من سَرِيره، وغَسلَ وجهَهُ ويَديه وخَرجَ لِكي يُقابلَ شَعبَهُ:

نَحنُ نُريدُ الطبلةَ.

إنَّنا نُريدُ الطبلةَ.

أخرجِ لَنا الطبلةَ.

قَالَ السلحفُ وهُوَ يُلوح بيده لكى تَسكتَ الحيواناتُ فتَسْمعهُ:

- سَوف تَرونَ الطبلةَ حَالاً. سَوفَ تَرونَ الطبلةَ يا شعْبِى الحبَيب. لَكِنْ فى البدَايةِ لابدَّ أَنْ تَسمعُوا كَيفَ وصلَت الطَّبلةُ إلى أيدِينَا. البعضُ مِنكم مَنْ لَبَّى نِدائى بالأمسِ قد عَرفَ الحِكايةَ، لكنهم كانُوا قَلائِل. أما اليوم، فإننى سعيدٌ أنْ أرى أنَّ لدينَا البلدَ بأكْمله. أريدُكُم جميعًا أنْ تسمعُوا القصةَ كما حَدَثت، وليستْ كما تُقَال لكُم منَ الآخرينَ.

وأَخذَ يَحْكى لَهم قصةَ مُغامرتِهِ، وكَيفَ أَنه كَادَ أنْ يُضحِّى بنفسِهِ من أَجْلِهِم، لَقد استطاعَ الَّذِين حَضرُوا بالأمسِ وسمعُوه أن يُلاحِظوا بعضَ الاختلافاتِ -هُنَا وهُناكَ- بينَ الحِكايتيْنِ.

وتَسببتِ الأعدادُ الضخمةُ الَّتِى حضرتِ اليوم إلى المائدةِ الثَّانِية فى فوضَى شَديدة، كَانَ النظامُ مُنْعدِمًا تمامًا، واشتدَّ الصَّخبُ والسَّلبُ والنَّهبُ مِنْ عَلَى المائدةِ، حَتَّى صَارت كَأنهَا معْركة. لكنْ مِثلمَا حدَثَ فى اليَومِ الأولِ، عَادَ النظامُ مرةً أُخرى حِينَما تحقَقَ الضيوفُ فى النهايةِ أنَّ المائدَةَ كبيرةً وعامرةً وكَافِيَة.

وفى كلِّ يوم كانت الحيواناتُ تَعودُ إلى بيتِ السُّلحفِ ، تَأكلُ وتَشربُ وتَرجعُ إلى مَنازِلهَا مرةً أُخْرى وتُغنى وتَمدحُ السُّلحف ، وأَطلقُوا عليه لقبَ: "المُنقذ" والزَّعِيم العَظيم، والبطل الَّذِى يَعملُ لصالح شَعْبه. ثُمَّ حَدَث أنّه فى أَحد الأيام أنْ لَقبه أحدُ المُغنين بالمُصادفةِ بلقب "الملك السّلحف". وبَعد ذَلِكَ أَصبحت الأغنيةُ الكَبيرةُ التّى تَتَغَنَّى بها الحيواناتُ هى :

نَحنُ نُريدُ مَلِكًا.
السلحفُ مَلِكٌ.
نَحنُ نُريدُ الملِكَ.
مَليكنَا البطلُ السلحفُ مَلك.
نَحنُ نُريدُ الملكَ.

وَتمَّ تحدِيدُ يوم لتَنصيبِ السلحفِ مَلكًا وتَتْويجِه. وطَلبت الحيواناتُ الملابسَ الحَريريةَ من بلادِ القَزِّ وطلبت التَّاجَ من بِلاد السَّمك. وتَمت زَخرفةُ بيت السلحفِ بالأعلام والبيارق، وظَلَّ الضُّفدعُ يَتدربُ عَلَى النَّشيدِ الَّذى أَلفه مَعَ جوقةِ البَلدِ ليلاً ونهارًا.



وفى يومِ التَّتويجِ، افتتحَ بواحدٍ وعَشرين طلقةً مَدفعيةً. وتَجمعتِ الحيواناتُ من أَجلِ إفطارِ مَا قبلَ التتويجِ. وردَّدَ الضُّفدعُ وجَوقتهُ النَّشِيدَ الجَدِيدَ : المَلكُ العظيمُ المُبجَّل

السُّلحفُ مَلك بِلادنَا

وقَرَّر السلحفُ أَنَّه - كملكٍ - يَجبُ أَن يتَخلصَ من أشياءَ مُعينةٍ مثل طرقِ الطَّبلةِ مثلاً، لِذَلك قَامَ بِتعْيين الفِيلِ طَبَّالاً مَلَكِيًا.

وفى صَباحِ يومِ تَتويجِ السُّلحف مَلكًا تَجمعتْ كُلُّ الحيواناتِ من أجلِ الإفطارِ، وأَمسكَ الفِيلُ بالطبلةِ المسْحُورة لأولِ مَرةٍ فى حَياتِهِ، وقَرعَهَا قَرعةً بالعصَا خَفِيفةً. وهذه القَرعةُ الخَفِيفةُ من يَدِ الفيلِ كَانتْ نَتِيجتُهَا مُفزعةً للغايةِ إذ أنَهَا مَزقت جِلدَ الطَّبلةِ.

وخَرجت من أَفواه الحيواناتِ صَرخةٌ مُفزعةٌ جَعلتِ الملكَ السُّلحف يَخرجُ إليها، وما كَانَ يَجبُ أَنْ يظهرَ نَفسه أمامَ شَعبِهِ حَتَّى تَحِينَ لحظةُ التتويجِ فى الظهيرةِ، لَكنه اندفعَ مُهرولاً مِن مَخدعِهِ إلى الخارجِ.. وفى الحالِ رأَى الكارثةَ الَّتِى حَلَّتْ. وبَعد أَن تَلقَّى الصدْمةَ الأولى، استطاعَ أنْ يَتحكمَ فى الموقفِ بأَكْمَلِه. فأَرسلَ اثنينِ من الحيواناتِ الصغيرةِ لكى يَحضرا له عصارةَ نَوعٍ مُعين من الأشجارِ، وفى نفسِ الوقت ألقَى خُطبةً قصيرةً عَلَى شَعبِهِ وطَلبَ منه الالتزامَ بالهدوءِ. فَقالَ لهم :



- هذه نكسةٌ مؤقتةٌ سوفَ نتغلبُ عَليها فورًا.. يَجبُ أنْ تَستمر احتفالاتُنَا كما كَانَ مُخططًا لها أَنْ تَسيرَ، يَجبُ ألا يَعُوقَنا شئٌ عن هَدفِنَا وخططنَا الطَّمُوحة.

عَادَ الحيوانان الصَّغيران ومعهما عصارةُ الشجرةِ المطْلوبة. ووضَعَها السلحفُ بعنايةٍ كَبيرةٍ فوقَ الطبلةِ المُمزقة ثمّ تَركهَا فى الشَّمسِ لكى تَجِفَّ. وكانتِ الحيواناتُ تُراقبُ مَا يَحدثُ فى وُجُومٍ وصَمْتٍ فَقالَ لها السلحفُ:

- تَفاءلُوا. كُلُّ شَىْءٍ سَيعودُ كَما كَانَ مرةً أُخرى، وسوفَ نَأْكلُ كَما كنا نَأْكلُ ونَبتسمُ كما كنا نَبتسمُ.

جَفَّ الصَّمغُ. وأصبحتِ الطبلةُ فى شَكلٍ مَعقولٍ. فأَخذَها السلحفُ بين يديه ونظرَ إلى جُمهورِ الحيواناتِ، الصَّامتِ، الَّذِى كَتَم أنفاسَه.. وَراحَ السلحفُ يَدُقُّ عَلَى الطبلةِ بعنايةٍ فائقةٍ فأخرجتِ الطبلةُ القليلَ من الأرزِ، والقليلَ منَ الحسَاءِ، وبضعَ قطعٍ من اللَّحمِ وقَطراتٍ منِ عصيرِ البلَحِ، وأُخرى من عَصيرِ المانجو. وهُنَا انفجَرتِ الحيواناتُ فى صِياحٍ مُفاجئٍ وتَنازعت الطَّعامَ القليلَ فيمَا بينها، ونَشبَ شِجارٌ عَنيفٌ، فوقفَ السلحفُ ليلْقى خُطبَةً قَصيرةً مؤثرةً وعد فِيهَا الحيواناتِ أنه بمُجرد الانتهاءِ من مراسمِ تنصيبه ملكًا، فإنه سَوفَ يَذهبُ عَلَى الفَورِ إلى أصدقائِهِ خُصوصًا صَدِيقه ملك الأرواح، ويَحصلُ منه عَلَى طبلةٍ أُخرى وأضافَ : والآن هيا نَستمرُّ فى احتفالاتِ التَّنصِيب كما كَانَ مُخطَّطًا.

- لكنَّ الجمهورَ كَانَ قَد بَدأَ يَفقدُ صَبرَهُ ، فَقالَ واحدٌ منهم:

- وهل نَستمرُ بِمعدةٍ خَاويةٍ من الطَّعامِ؟ اذهبْ أولاً واحضر الطُبلةَ، وبعدَها نَستطيعُ أن نستمرَّ فى الاحتفالاتِ.

فردَّت أصواتٌ أخرى قائلةً: نِعْمَ الكلامُ ، الطبلةُ أولا ثُمَّ التنصيب بَعدهَا، فما فَائدةُ الملك بدُونِ طبلةِ غَذاءٍ؟!!

وبدأتِ الحيواناتُ تُغادرُ بيتَ السلْحف فى مَجْموعاتٍ مُكونة منْ ثَلاثة أو أربعة حَيوانات وقد أطرقَ الجمَيعُ فى حُزنٍ وأَسَى.

-٥-

وبَدأَ السلحفُ رِحْلته فى اليوم التَّالى مع أَولِ صَيْحةٍ للديكِ مُتجها إلى أرضِ الأرواح. وعِندَ الظهيرةِ كَانَ واقفًا عِند جذْعِ النخلَةِ ذَاتِ الألفِ ومائتى بلَحةٍ. وسَأَلها السلحفُ وهُوَ يَلهثُ :

- أيتُّها النخلةُ الطيبةُ، هل لا يَزالُ لديك بلحُ ناضجٌ؟!

لم ترد النخلةُ عليه. فأكملَ هُوَ: أعتقدُ أَنَّ لديك بعضَ البلح. عَلَى أيةِ حالٍ، لابدَّ أَنْ أَصعدَ وأَرى بنفْسِى. وبَدأَ يَصعدُ النَّخْلَةَ وبمجرد أن أصبحَ عَلَى قمةِ النَخلةِ، سَارعَ عَلَى الفورِ فَقطفَ بلحةً وجَعلها تَسقطُ عَلَى الأرضِ ثُمَّ هَبطَ هو أيضا إلى الأرضِ. وسَقطتِ البلحةُ عَلَى مسافةٍ بَعيدةٍ جِدًّا من الجُحرِ الَّذى سَقطتْ فِيه البلحةُ السَّابقةُ، فَجاءَ السلحفُ وأَخذَ يُدحرجُهَا برقَّةٍ نحو الجُحرِ ثُم دَفَعها بالداخلِ، وانحنى داخلَ

الجُحرِ. غيرَ أنَّ البلحةَ تَوقفت فى مكانٍ يَستطيعُ أنْ يستعيدَها منه مرةً أُخرى بسُهولةٍ. فصبَّ عليها اللعناتِ ثُمَّ دَفعها إلى أسفلَ وهَبطَ درجةً واحدةً ومع ذَلِكَ ظلتْ - لا تزال - قَريبة بحيثُ يَستطيعُ الإمْساكَ بها. فَشتمها بأنها بلحةٌ عقيمةٌ بلا فائدَة. وظَلَّ هَكذا يَدفعُهَا إلى أسْفل حيثُ أرضِ الأرواحِ ويَلعنُهَا. وحينَما وصَلَ إلى أرضِ الأرواحِ كَانَ الصّبِى الصّغير واقفًا ومعه مقشته الطويلةُ يَنظرُ إلى البلحةِ الّتِى سَقطتْ مِن الفتحةِ أعلاه، وما أنْ رآه الصّبى حَتّى هم يَجرى نَحو الأكواخِ. إلاّ أنَّ السلحفَ نادى عليه بصوتٍ رقيقٍ جِدًّا :

- لا تَهربْ مِنى يَا صديقى الصغير العزيز.

تَوقف الصّبى، والتَفتَ وراءَهُ وحَمْلقَ فى السلحفِ مُتشككا. فَقالَ له السلحفُ:

- لا تخف، منى يا صَدِيقى كنتُ فقط أمزحُ مَعكَ فى المرةِ السابقةِ.. إنّنى دائما أستمتعُ بالمزاحِ مع الأطفالِ الصغارِ لكننى لا أَقصدُ إيذاءهم. إنَّنِى فى الحقيقةِ أُحبُّ الأطفالَ، كما سَتعرفُ ذَلِكَ حِينما تَقتربُ منى وتعرِفُنى أكثَر.. أتمنى أَن يَكونَ الوَالِدَانِ فى الكُوخِ لأننى جِئتُ خَصِيصًا لكى أشكرهمَا عَلَى الطبلةِ الصغيرةِ العَجِيبةِ الّتى أَهديَانِى إياهَا. إنَّ شَعْبِى سَعِدَ كَثِيرا بها لدرجَة أنهم نَصّبونى عليهم ملكًا. ولِذلك عدتُ لكى أَشكرَ أباك. فهل هو موجودٌ؟

فردَّ الصّبى: "نَعَمْ ياسيدى. إنه فى الكُوخ. هل أَذهبُ فأناديه؟"

قَالَ السلحفُ: "لا تَقلقْ بِشأن ذَلِك. سَوفَ نَسيرُ معًا إليه لكنْ قَبل أنْ أَنْسَى، أحضرتُ لك هديةً صغيرةً، إنَّنِى أعرفُ أنكَ تُحِبُّ البلحَ لِذا أحضرتُ لك أَلذَّ بلَحَة فى العالمِ بأسْره. لكنها سقطَت من يدى حينما كُنتُ أهبطُ إلى هُنَا. فهل رأيتُها؟

ردَّ الصبى: سوفَ تَجدها إنْ نظرتَ وراءَكَ مُباشرةً.

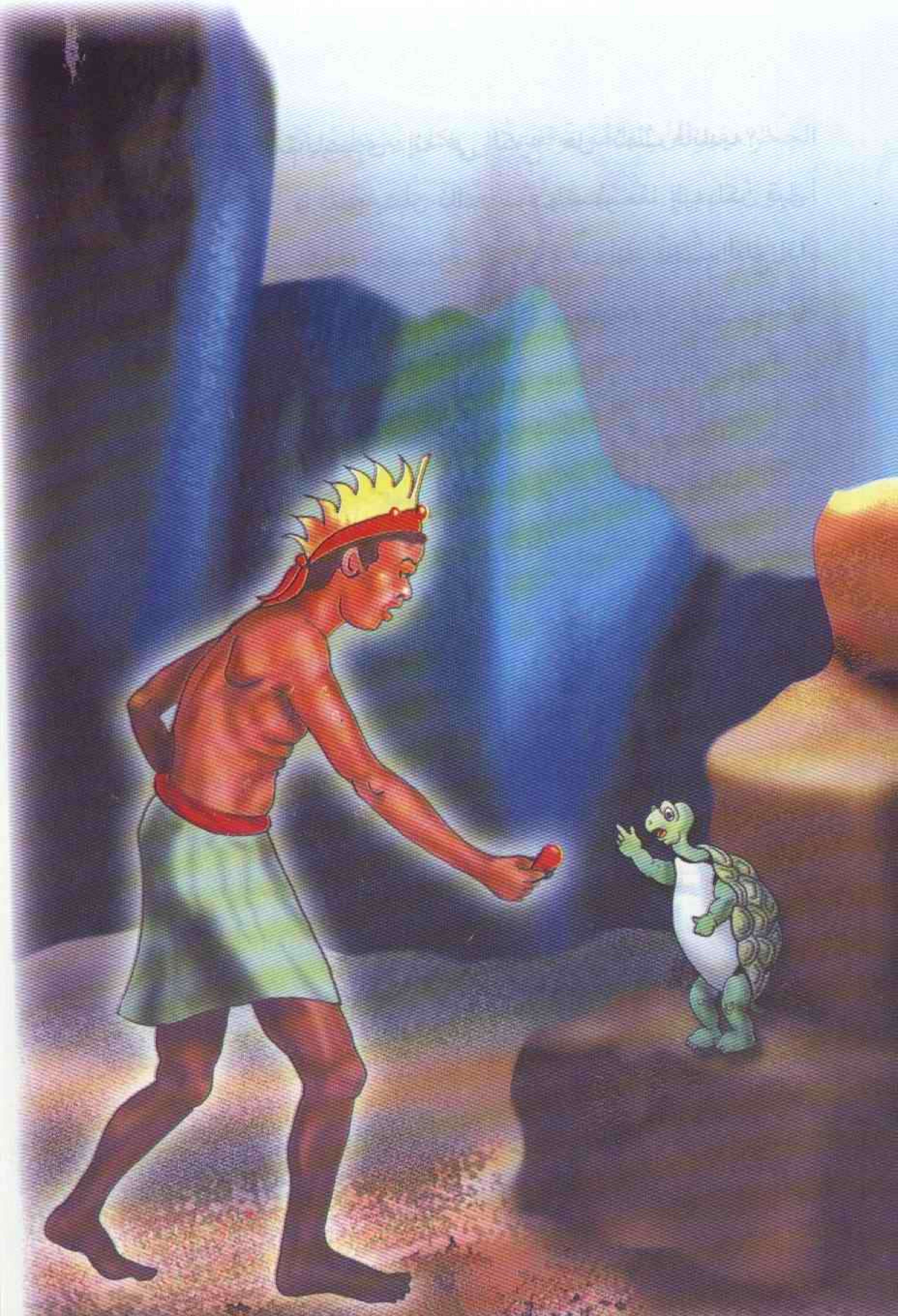
قَالَ السلحفُ: بالطبعِ، هى موجودةٌ.. إنَّنِى كما تَعرفُ أصابنى الكبرُ ولم تَعدْ عَينى تَرى كما كنتُ أَرى بها فى شَبابى.. خُذها مِنِّى.. تَفضل.. إنها هديةٌ صغيرةٌ.

وتَردّدَ الصّبى فى البدايةِ. لكن السلحفَ بأسلوبهِ العَذب أقنعَه بأنْ يقبلَ البلحَة. ثُمَّ قَالَ له:

– هيَّا أيهَا الغُلام.. كُلْهَا.. وأَخْبرنى إذَا لمْ تكنْ هِىَ ألذُّ بلحةٍ تَذوقتَها فى حَياتك.

لمعتْ عَينا الصبى وهُوَ يَمضُغُ البلحةَ. كَانَ يتلذذُ بها كثيراً لدرجةِ أنه لم يَلحظ التغيرَ الّذِى طَرأَ عَلَى وجْه السُّلْحفِ.

هَمس السلحفُ فى نَفسِهِ: غلامٌ غَبى. مَتَى سَوفَ تَتعلمُ؟ ثم رَفَعَ صَوتهُ صارخًا: هاتِ بلحَتى مِن فضلِك.ورَاحَ يُحملقُ بغضبٍ فى الصبى ثم قَبضَ عَلَى سَاقهِ وصَاحَ الصبىُّ فى خوفٍ ورعْبٍ وهو يُحاولُ أَن يتَخلصَ من قبضةِ السُّلحفِ الحَدِيديةِ.. وكَانَ هَذَا يَصرخُ فيه قائلاً:



- لا، لا تحاوِلْ هَذِه المرة سوف آخذكَ معى إلى بلادِى بلا شَكٍّ.

وكما حَدَث من قبل، حينما سمعَ الكبارُ صراخَ الصبى اندفعُوا خارِجين منَ الأكواخِ. قَالَ والدُ الصبى:

الآن فهمتُ، ها هو صَدِيقنا القديم السلحفُ يداعبُ الصبى ولدَنَا.

لكن السلحفَ رد عليه بصَلَفٍ: إنَّنى لا أدَاعبه يا محتُرم.

فَسأله الأبُ: "فما الموضوعُ إذَنْ؟"

قَالَ السلحفُ: "رغم تحذِيرى لك، إلا أنكَ لم - تعلّمْ - ولدكَ أنْ يحترمَ مِلكيةَ الآخرين، لقد سَطَا ابنُك على بَلحَتى. هَذَا هُوَ الموضوع. وقد قلتُ له لتوِّى أَنَّ شيئًا لنْ يَمنعنى - أكرر مرةً أُخرى لنْ يمنعنى أىُّ شيٍ منْ أنْ أَجُره معِى من أُذنيْه إلى بلادى.

قَالَ الأبُ : "اهدَأْ من فَضلِك يا صديقى الطَّيب. إنّنى متأكدٌ أننا يمكنُ أَن نسوِّى الأمرَ بسُهولة دُونَ تعقيداتٍ. ما رأيكَ فى أن تحصلَ على طبلةٍ أُخرى؟

تَظاهرَ السلحفُ أنه يُفكرُ فى هذا الحلِّ قَليلاً فألقى برأْسِه إلى الخلفِ رافعًا وجْهه إلى أعلى ثُمَّ بعدَ فترةٍ طويلةٍ أَعلنَ قائلاً:

- مُوافق.. لكنى أُريدُ أَن يَفهمَ الجميعُ أَنَّ هذه المرة هى آخرُ مَرَّةٍ يُمكنُ أَن آخذَ طبلةً بديلاً عن بلحَتى.

قال الأبُ: إننا نَفهمُ ذَلِك جيدًا ونُدركه عن يقينٍ.

وهُنَا قَالَ السلحف بكبرياءٍ وصَلف: هاتِ الطبلةَ إذَنْ.

قال الأبُ: تعال من هذَا الطريقِ يا سيدى.

وأَخذَ السلحف إلى مُؤَخرة أحدِ الأكواخ. كان المكانُ مثلما تُخيل السلحفُ سَلَفًا. كَان مُكدسًا بِجميعِ أَنواعِ الطبلِ ومن جميعِ الأحجام، مُعلقةً فى الأوتادِ الخَشبيةِ المُثبتةِ فى الحوائطِ الطينيةِ، وقَالَ الأبُ وهو يُشير بيده نحو الطَّبلِ:

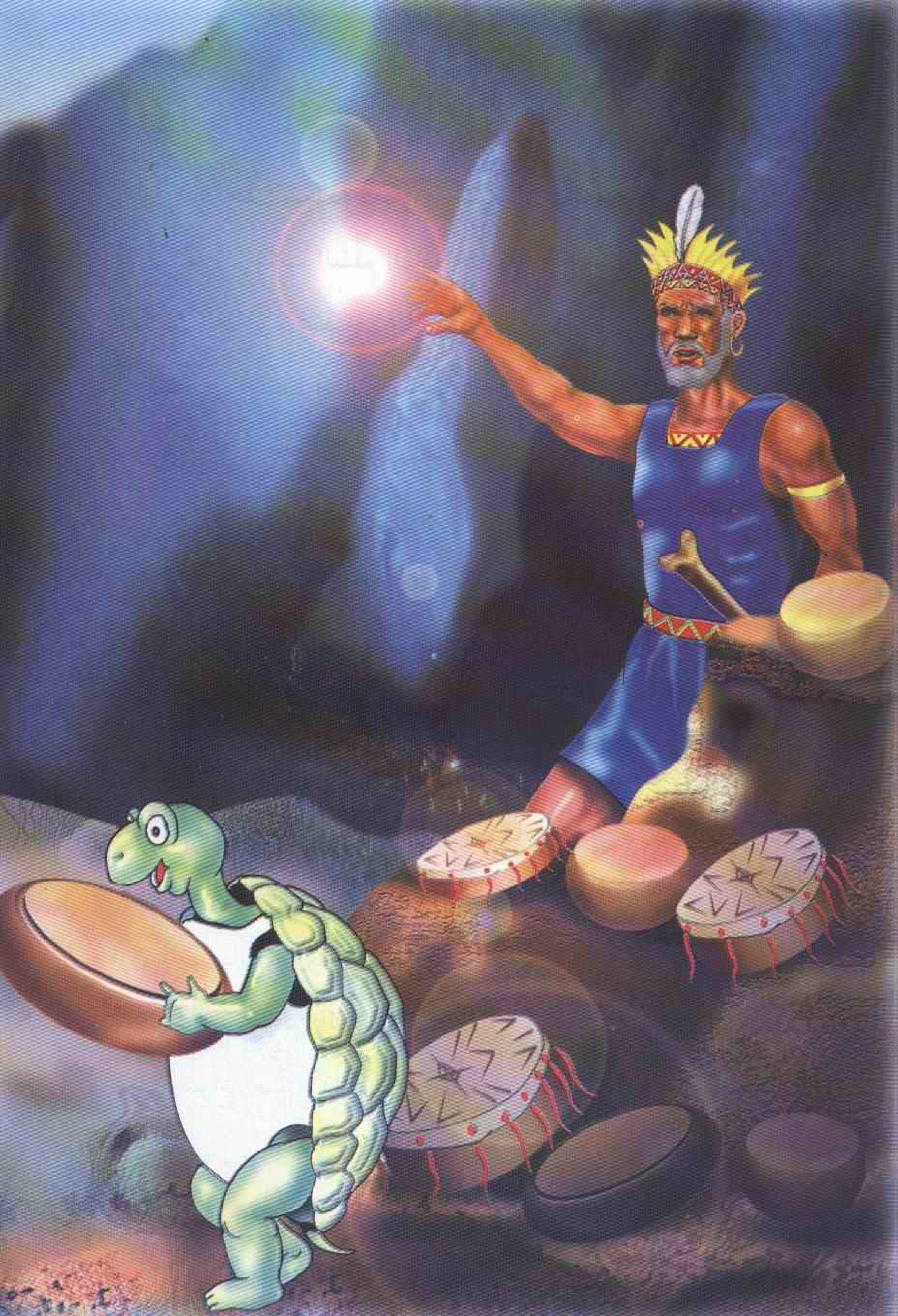
- إنَّ الاختيارَ لكَ يا سيدى.

وغَمرتِ السعادةُ قلبَ السُّلحفِ مما تَسيرُ به الأمورُ حَتَّى الآن. فى المرةِ الماضيةِ أَعطاه الأبُ طبلةً صغيرةً ذاتَ جلدٍ رَقيقٍ وقد أَطاحَ بها الفيلُ. أما الآن فإن لديه الفرصةَ فى اختيارِ طبلةٍ تُلائمُ مَرْكزه كملكٍ. ومضى يَسيرُ وَهُوَ يَتفقدُ صَفًّا طَويلاً من الطبلِ حَتَّى وصلَ إلى نهايتِهِ، يَتفحصُ كلَّ طبلة عَلَى حدةٍ، حَتى أشارَ فى النهايةِ إلى أضخمِ طبلةٍ موجُودةٍ أمامَ عَينيه. فَقالَ الأبُ:



رائع.. هذه الطبلةُ ستكونُ لَكَ. فليحضرهَا أَحدُكم يا رجَالى إلى صَديقى السُّلحف الطيب.

وهكذا أَخذَ السلحفُ الطبلةَ من أَحد رجالِ الأرواح وعَلقَها على كَتفِهِ. ثُمَّ مدَّ يَده والتقطَ عَصًا يَطرُقُ بها. وقالَ وداعًا وبدأَ رحلته عائدًا إلى بلادِهِ.



-٦-

كَانَ السلحفُ سعيدًا مَسرورًا بنفسه لدرجةِ أنّه ظَل يُصفرُ ويُغنى وهُوَ يَرتقى درجاتِ السّلم السبع عائدًا من العَالمِ السُّفلى. وحِينما خَرجَ من الجُحرِ، عِندَ جِذعِ النخلةِ، تَوقفَ قَليلاً لكى يَستريحَ من عَناءِ الصعودِ ويَلتقط أنفاسه، وحِينئذٍ شَعرَ بالجوعِ. وَأَحَسَّ بالحاجةِ الشَّديدةِ إلى الطَّعامِ، لكنه فى نَفسِ الوقتِ كَان يُريدُ الإسراع إلى بلاده لكى ينهى مراسمَ تَنصيبه مَلكًا على الحيواناتِ. ونَظَر عَاليًا إلى السماءِ لِكَىْ يعَرف الوقتَ، فاكتشفَ - لدهْشَته - أَنَّ الشمسَ كَانت لا تزال فى منتصفِ السماءِ تمامًا مِثلمَا كانتْ وقتما دَخلَ الجُحْر. فهل كَانَ الوقتُ هُوَ اليوم أم أمس أم اليوم التَّالى؟ لم يَستطعْ أَنْ يُحددَ ذَلِكَ. لكن أيا كان اليوم، إنه الآن وقتَ الظهيرةِ. وبناء عليهِ فإنه لا يَزال هُناكَ مُتسع من الوقتِ لِكَىْ يأكلَ، وبعدهَا يَصلُ إلى بلادِه ليجلسَ عَلى عرشِهَا. أَنزلَ الطبلةَ مِنْ عَلَى كتفه ليستريحَ ، ثُمَّ رفعهَا مرةً أُخرى، وطرقَ عليها بالعصَا برقةٍ مُتناهيةٍ. لكنْ ما حدَثَ لم يكنْ فِى الحُسبانِ. بدَلاً من أنْ يخرجَ من الطبلةِ طعامٌ لذيذٌ، خَرجت منها أصواتٌ غَريبةٌ مرعبةٌ- صراخ يَصمُّ الآذان يَتبعُه نشيدٌ قَصيرٌ يَصدرُ عن أصواتٍ غَليظةٍ مُخيفةٍ:

بيالا وبِيالُو مبلا
أُوفو أُوفيو
بيالا وبِيا لُومبلا
أَوفرو أوفيو

مَا حدثَ بعد ذَلِك كَانَ أكثَر رُعبا وغَرابةً. خرجت أَشباحٌ مُلَثَّمةٌ تَحملُ العديدَ من السِّياطِ وبدأت تَتقافزُ وتَندفعُ هُنَا وهناكَ فى أىِّ مكانٍ وتصيبُ أى شىءٍ فى طَريقها. ثم تبعتهَا أسرابٌ من النحلِ تَلسعُ وتَلدغُ كلَّ جزءٍ من جَسدِهِ حَتَّى سَقَطَ عَلَى الأرضِ فَاقِدَ الوعى تمامًا وظلَّ هَكذا لوقتٍ طويلٍ وحِينما فَتحَ عينيْه مرةً أُخرى كَانَ قد حلَّ الظلامُ وعَمَّ المكَان، وأحسَ بأن جَسدَهُ ملىء بالرضُوضِ والجرُوحِ والأورامِ إلى حَدٍّ أَنَّ قوقعَته لم تَستطعْ أَن تَحتويه بِداخلِهَا. وأَخذَ يَتساءلُ: مَاذَا حَدثَ؟ وأين أنَا؟!

ورويدًا رويدًا بَدأت تَعودُ إليه ذَاكرته وبَدأَ يَشعرُ بخوفٍ عَظيم. أينَ الطبلةُ؟ وأين كانت الأرواحُ المُلَثَّمَةُ.هل هى بانتظارِهِ فى الظلامِ إلى أَنْ يَستيقظَ؟ ربما كَانت نَائمةً. وفى هَذِه الحالةِ لابدَّ أَنْ يتَسللَ بَعيدًا قبلَ أَن تَستيقظَ. لكنَّ مُحَاولته لأن يتَحركَ أضافت إليه آلامًا جديدَةً وشديدةً جعلته يَفقدُ وَعْيه مرةً أُخرى ولم يَفقْ حَتَّى ظُهْرَ اليَومَ التَّالى. وحِينَما أفَاقَ، تَأملَ الموقفَ بعينيْه فى هدوءٍ. كانت الطبلةُ الشريرة قَابعة فى بَراءةٍ فى نفسِ المكانِ الّذى أَلقاهَا فيه، ومِنْ حَوْله تناثرتْ أكوامٌ مَن السياطِ المزقــة. أمـا كل شىء آخـر فكـان طبِيعيًّا. النخلةُ ذاتُ الألفِ



ومائتى بلحةٍ، وبعضُ الأشجارِ الأخرى الجرداء والزروع الجافة والسماء الصافيةِ والشمسُ المحرقةِ.

وحِينما شعَر السلحفُ أنه لا يَوجدُ أىُّ خطرٍ مباشرٍ مِنْ حَولِه، بَسطَ أطرافَهُ ووَجدَ أنه لن يَستطيعَ سوى الزحفِ فَقط حَتَى يَصلَ إلى بلادِهِ إذْ أنَّ كلَّ جسدِهِ ملئ بالجروحِ والآلام. لكنه فكر قليلا فرأى أنه لا يوجدُ سببٌ يدْعُوه إلى الإسراعِ الآن. فلديه من الوقتِ أكثر مما هو بحاجةٍ إليه، لِذلك عَادَ لينامَ يومين آخرين، لكى يُفكرَ بهدوء ويُخططَ للمستقبلِ.

كانت عودةُ السلحفِ إلى بلادِ الحيواناتِ مع طَبلته الأولى فى جُنْحِ الظَّلام، لقد خططَ لذلك حَتَّى لا يراه أحدٌ أثناءَ عودته. لكنه اختارَ عودته الآن مع طبلتِه الثَّانية مُنتصفِ النهارِ، وقتَ الظهيرةِ وشَاهَدته العديدُ من الحيواناتِ وهو يَسيرُ ببطءٍ مَقصودٍ نحوَ منزلِهِ وهُوَ يَحتضنُ الطبلةَ الكبيرةَ.

وخرجتْ بَعضُ هَذِهِ الحيوانات تَستقبله وتُحييه فى فرحٍ وسرورٍ وتَصطحبُه إلى المنزلِ فى حِين اندفعَ الآخرونَ إلى أصدقائهم يَزِفُّونَ إليهم بُشرى عَودته. وحِينَ حلَّ وقتُ المساءِ كان منزلُ السلحفِ قَد امتلأ مرةً أُخرى بالحيواناتِ والضوضاءِ كالمعُتاد. وحَالاً بَدَأَ غناءُ الحيواناتِ مرةً أُخرى:

نُريد السلحفَ.

يَعيشُ السلحفُ المَلِكُ.

المَلِكُ السُّلحفُ.

يحيا السُّلحفُ. يَعيشُ الملكُ.

وكَان السلحفُ قد أَوى إلى فِراشهِ مُبكرا، فاستيقَظ الآن مرةً أُخرى وخَرجَ يَتحدثُ إلى الحيواناتِ، وعِندَمَا ظَهرَ من خلالِ بابِ كُوخه أصدرتِ الحيواناتُ صيحةَ هتافٍ ضَخمةٍ تَصمُّ الآذانَ تحيةً لَهُ. ورَفعَ السلحفُ يده فصمتت الحيواناتُ على الفَور. وبَدأ يتَحدثُ فى صَوتٍ مُرهقٍ. فَقالَ:

يَا شَعْبى الطيب. لقد قمتُ بالرحلةِ الّتى وعَدتكم بِها، وقدْ أحضرتُ لكم طبلةً هى ملكةُ الطُّبولِ.

وصَفقتِ الحيواناتُ وهلَّلت وتَقافزت فَرَحًا. لكن السُلحفَ رَفَع يَده مرةً أُخرى ليقُولَ:

لقد فَكرتُ فى أَنْ أستريحَ الليلةَ وقَررتُ أَنْ أُقدمَ لكم الطبلةَ فى الصَّباحِ..

ارتفَع الصياحُ: نُريدُ الطبلةَ الآن.. نَحنُ نُريدُ الطبلةَ.. مَلكةُ الطبولِ.

أضافَ السلحفُ: أَرى أنكُم فى لهفةِ لرؤيةِ الطَّبلةِ.. ولا أستطيع أن أَلوُمكم عَلَى أَيةِ حَال أنتم لم تتذوَّقُوا أَىَّ طَعامٍ لعدةِ أيام حَتَّى الآن. لذلك فإننى سَأقدمُ لكم الطبلةَ حَالاً.

وعَلَى الفورِ صَاحتِ الحيوانَاتُ مُهللةً فى حَماسٍ فرفَع يدَهُ لتصمتَ فيُكمل:

- سأكونُ خائنًا للواجبِ إذَا لمْ أحدثكم عن المصَاعبِ الّتى واجهتهَا للحُصولِ عَلَى هَذه الطبلةِ، البعضُ مِنكم تساءلَ عَنِ الجرُوحِ الَّتى تَملأُ جَسدى كُلَّه. حَسنًا يا شعْبى الطيب، قد تَذكرونَ أنَّنِى أَخْبرتكُم أَنَّ السفَرَ إلى بِلاد الأرواح لم يكُن يَسيراً أو هَيّنًا. فَعَلى طُولِ الطريقِ يُوجدُ العديد منَ الأشباحِ والعَفاريتِ المُرعبة. وواجهتهَا جَميعًا وتلقيتُ برضًا وشجاعةٍ كلَّ الصُعوباتِ والعقُوبات الّتى وقَّعُوها عَلىَّ. ولَنْ أَقولَ أكثرَ من ذَلِكَ فى الوقتِ الرَّاهن لأنَّنِى مُرهقٌ ويَجبُ أَنْ أستريحَ قليلاً.. لكن يُمكنكم أنْ تُواصلُوا احتفالاَتكم وتَحصُلوا عَلَى وجْبةِ العشَاءِ.. إنَّنى أَعرفُ أَنكم تَستطيعُون ترتيبَ مائدةِ العشاءِ و بِشكلٍ مُهذبٍ. بالنظر إلى الحادثِ المؤْسفِ الَّذى حَدثَ للطبلةِ السابقةِ إنَّنِى أقترحُ أنْ تُنصبوا طَبَّالاً جديدًا من بينكُم يَكونُ له لمسةٌ خَفيفةٌ وأَرقُّ مِنْ فيلنَا المحبْوب.

ضحكت الحيوانَاتُ، وتَركها السلحفُ تَضحكُ ودَخلَ كُوخه وعَادَ مرةً أُخرى بالطبلةِ الجديدةِ الضخمةِ. فارتفعت صيحاتُ الفرحِ بينها وقالَ لها السلحفُ وهو يَنسحبُ مُلوحًا:



– استمتعُوا بوقتِكم.

ثُمَّ أَحكمَ إغلاقَ بابِ كُوخِهِ بالمِزْلاجِ بعدَ أَنْ دَخلَ.

اقترعت الحيواناتُ واختارتِ القردَ لمنصبِ "طبّال الدولة الجديد" لكنها لم تردْ أن يَشعرَ الفيلُ بالإهَانِة، فمنحُوه مَنصبَ "عَازِفَ بُوق الدولةِ" ولقَب "طبال مُتقاعـد" وكَانَ الجميـعُ قانعًا بِهـذا ورَاضِيًا.

وتَقدمَ القردُ إلى الأمامِ، ورَفعَ الطبلةَ إلى كتفهِ. وهَتفت لَه جَماهيرُ

الحيوانات هِتافَ التحيةِ والتَّشجيعِ، وانحنَى يَرد لَهَا التحيةَ، ثُمَّ حَملَ مَقرعةَ الطبلةِ بترفُّعٍ وكبرياء شَديدٍ وبَدأ يَقرعُ الطبلةَ.

حِينما أغلقَ السلحفُ بَابَه بالمزلاَجِ لم يَذهبْ إلى مَخدعِه كىْ يَنامَ كما ادَّعى فِيمَا مَضى. بل أَخذَ زوجَتهُ فى عجلةٍ شَديدةٍ خَارجَ منزلهِ من خلالِ بَابٍ خلفى، ودَخلَ إلى أعماقِ غابةٍ كثيفَةٍ خلفَ حائطِ منزلهِ. كَانتْ زَوجتُهُ فى غَايةِ الدهْشةِ لكن السلحفَ جرَّهَا بقوةٍ معه قَائلاً لهَا:

ليس هُنَاك وقت كى أَشرحَ لك الأمر، كُلُّ شىءٍ سيتضحُ لكِ فيما بعد.

وهكذا دخلاَ إلى أعماقِ الغابةِ أكثر وأكثر حَتَّى وصلا إلى صَخرةٍ ضَخمةٍ فى قاعِ أحدِ الأنهارِ الجافةِ واخْتفيَا تَحتَهَا.

أما بالنسبةِ للحيواناتِ فإنَّ ما شَهِدته فىْ تلكَ الليلةِ لم نعْرفه بالكاملِ، لكن يكفِى القولُ أنها ظلَّت تَسحبُ نفسَهَا من أمامِ منزلِ السلحفِ وهى تَصرخُ وتَنزِف الدماءَ وتناثرتْ فى كلِّ مكانٍ وكل اتجاه منَ العالمِ ولم تَتوقف عن الجرْىِ والصِّياحِ طلبًا للنجْدةِ.